الزهراء

ج ٤ : م ١ — ١٥ ربيع الثاني ١٣٤٣

حياة ابن خلدون

ومُثل من فلسفته الاجتماعية

محاضرة القاها الاستاذ المحقق السيد محمد الخضر

في الحفلة التي أقامتها جمعية تعاون جاليات افريقية الشمالية

مساء الجمعة ٥ صفر سنة ١٣٤٣

— ١ —

تأسست هذه الجمعية لتنهض بجاليات افريقيه الشمالية حتى يسيروا مع اخوانهم المصريين جنباً لجنب : يسايرونهم في أفكارهم ، في آدابهم ، في معارفهم ، في كل شأن من شؤون حياتهم الاجتماعية الراقية . وكذلك يجب على كل جالية تعيش بين قوم ناهضين . وكذلك يجب على كل جالية تعيش في بيئة هي أوسع من أوطانها حرّيةً واحتمالا للمشروعات الاصلاحية

وللدعوة الى المنافسة في الخير ، والمسابقة في حلبة الشرف والسعادة ، طرق شتى ؛ ومن أقربها مأخذاً ، وأبلغها أثراً ، إلقاء محاضرات تتمثل فيها سيَر رجال أدركوا بصفاء ألمعيتهم وكبر همتهم مكانة راسخة ، وسمعة فائقة . وقد بدا لنا

أن نفتتح محاضراتنا بذكرى الفيلسوف الاجتماعي أبي زيد عبد الرحمن بن خلدون

نسب ابن خلدون

هو وليّ الدين عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن محمد بن الحسن بن محمد بن جابر بن محمد بن ابراهيم بن عبد الرحمن بن خلدون الحضرمي [1] . ويتصل هذا النسب الى وائل بن حجر الصحابي الذي وفد على النبي صلى الله عليه وسلم فبسط له رداءه وأجلسه عليه ودعا له

ذكر ابن خلدون نسبه على هذا النسق وقال : لا أذكر من نسبي الى خلدون غير هؤلاء العشرة

دخول سلفه الى الاندلس

كان خلدون المذكور قدم من المشرق في رهط من قومه أهل حضرموت ونزل إشبيلية ، وهي حمص التي يقول فيها صاحب مرثية الاندلس :

وأين حمصٌ وما تحويه من نُزَهٍ ونهرُها العذبُ فيّاضٌ وملآن

تفرّع آل خلدون في إشبيليه ، وكانت لهم فيها زعامة ورياسة . ثم رحل جده الحسن عقب فتنة خفقت ريحها في تلك البلاد فنزل سبتة ، ثم ارخى زمام مطيته متوجهاً الى مدينة (عنابة) لصلة كانت بين بعض أسلافه وبين صاحبها الامير زكرياء فلقيه الامير بالحفاء ، وأدخله في سلك رجال دولته ، وجرى ابنه محمدٌ على سَنَنه في خدمة الدولة وأدرك ما ناله والده من وجاهة واقبال . وانتهى أمر ابنه محمد ـ الذي هو الجد الادنى للفيلسوف ابن خلدون ـ الى السكنى بمدينة (تونس) والانتظام في هيأة الدولة ، وكان السلطان أبو يحيى إذا خرج من مدينة تونس يستعمله عليها ، ولكن ابنه محمداً ـ وهو والد الفيلسوف المتحدّث عن

(١) خلدون بفتح أوله كما نص عليه صاحب الحلل السندسية (مخطوط) ، وصاحب نيل الابتهاج (ص ١٦٩ هامش الديباج المذهب) . وأصل اسمه خالد وعرف بخلدون كما جاء في تاريخ المترجم به (٧ : ٣٨٠)

حياته ـ عدل عن مسلك السياسة وخدمة الدولة وآثر مدارسة العلم ومجالسة الادباء ، فأصبح معدوداً في زمرة العلماء ، ومشهوداً له بالتقدم في فن الادب

نشأته في تونس

في هذا البيت ـ الذي تقلب رجاله في أطوار خطرة ، ثم بسط فيه العلم أشعةً باهرة ـ ولد أبو زيد عبد الرحمن بن خلدون في غرة رمضان سنة ٧٣٢ فكانت نشأة ابن خلدون في اسرة امتطت ذرى الرياسة ، وخفق فيها روح العلم والادب ، مما ساعد ذكاءه الفطري على أن يشتعل بشدة ، وجعل نفسه الزكية بمقربة من الهمم الكبيرة

نشأ ابن خلدون وكانت رياض العلم في مدينة تونس زاهية ، وسوق الادب نافقه . فاستظهر بالقرآن ، وتلقى فن الادب عن والده . ثم أقبل يجتني ثمار العلوم بشغف ، ويتردد على مجالسة العلماء الراسخين ـ مثل قاضي القضاة محمد بن عبد السلام ، والرئيس أبي محمد الحضرمي ، والعلامة الابلي ـ ولم يكد يستوفي سن العشرين حتى تجلت عبقريته ، واستدعاه أبو محمد بن تافراكين المستبد وقتئذ الى كتابة العلامة عن السلطان أبي اسحاق وهي « الحمد لله والشكر لله » تكتب بالقلم الغليظ ما بين البسملة وما بعدها من مخاطبة أو مرسوم ، وهذا مبدأ دخول ابن خلدون في حياته السياسية

عزمه على الارتحال

تولى هذا العمل وهو يطوي ضميره على الرحلة من افريقية : لوحشة أنارها في نفسه ذهاب معظم شيوخه ، وانطواء مجالسَ كانت أنهارُ علومها دافقة ، وتطوف آدابها دانية . ويمكنك من هاهنا أن تعرف لابن خلدون وهو في شرخ شبابه مبدأ من مباديء الفطرة السليمة ، والهمة الشامخة ، وهو الاستخفاف بالمقام

الوجيه لدى الدولة ، وإيثار ما فيه كمال نفسي ولذة روحية على مظاهر الأبهة ومواطن الراحة والنعيم

رحلته الى بجاية

لبث ابن خلدون بعد تقليده رسم العلامة أمداً غير بعيد حتى أمكنته الفرصة من أمنيته ، وغادر تونس سنة ٧٥٣ الى قفصة ثم الى بسكرة ونزل فيها ضيفا مكرماً لدى صاحبها يوسف بن مزني

ثم خرج منها قاصدا السلطان أبا عنان وهو يومئذ بتلمسان ، فلقيه على الطريق ابن ابي عمرو صاحب بجاية آيباً من تلمسان ، فصرفه عن قصد أبي عنان ، وحمله على المسير معه الى بجاية ليغتبط بصحبته ، وتزدهي بمثل ابن خلدون أيامُ دولته

ابن خلدون عند سلطان فاس

لم يكد ابن خلدون يقضي في كنف صاحب بجاية برهة حتى طار صيته ، وعبق ذكره في حضرة السلطان أبي عنان ، وقد جعل هذا السلطان بعد عوده الى فاس يؤلف من جلة العلماء مجلساً حافلاً ، فاستدعاه من بجاية سنة ٧٥٥ فأكمل به نظام مجلسه العلمي ، واختاره للكتابة والتوقيع بين يديه . قال ابن خلدون « فتحملت هذا العمل على كره مني ، اذ كنت لم أعهد مثله لسلفي »

اتهامه بالمؤامرة على السلطان

حظي ابن خلدون لدى أبي عنان وارتقى في دولته مكاناً علياً ، فأخذ حرّ الحسد يلفح قلوب بعض منافسيه ، فأخذوا يبيّتون له المكايد ، وينصبون له شرك السعاية ، حتى استطاعوا أن يدسوا الى افساد قلب السلطان عليه من باب السياسة اذ رموه بالدخول في مؤامرة مع الامير محمد صاحب بجاية . ولتهمة الائتمار على قلب نظام الدولة سهام لا تكاد تخطأ ، اذا لم تصب المقاتل أوهت العظم وقلقلت

الحشا وسلبت الاجفان نومتها الهادئة ؛ وبالاحرى حيث لم تكن قضاياها مما يوكل الى اجتهاد محكمة عادلة ، وانما ينفرد بسماع بلاغها ويستبد بتقدير عقوبتها أحد الخصمين الذي هو الرئيس الاعلى

ابن خلدون في السجن

انطلت تلك التهمة على فكر ابي عنان فقبض على ابن خلدون والامير محمد وزجهما في السجن . وكانت هذه النكبة أول ما لقيه ابن خلدون من بلاء السياسة وأيقن بها أن إقبال الدولة سرعان ما ينقلب إدباراً وان عزاً تبنيه للرجل صباحا قد يأتي عليه المساء ، فاذا هو الدرك الاسفل من الهوان

ثم ان السلطان أطلق سبيل الامير محمد ، وترك ابن خلدون يقاسي شدة الحبس ويتجرّع مرارة المحنة ، حتى التجأ في استعطافه وجلب مرضاته الى وسيلة الشعر والمديح وخاطبه بالقصيدة التي يقول في طالعها :

على أيّ حال ليالي أعاتبُ وأيّ صروف للزمان أغالبُ

وقد تنجح شفاعة الشعر لدى الحاكم المطلق وتأتي بالاثر الذي تذهب الحجج الساطعة دونه عبثا . وما كان من أبي عنان إلا أن هش للقصيدة ـ وكان وقتئذ بتلمسان ـ ووعد بالافراج عن ابن خلدون عند حلوله بحاضرة فاس . ولكنه لم يلبث بعد إيابه الى الحضرة الا خمس ليالي فطرقه الوجع ولقي أجله قبل ان يفي بوعده لابن خلدون

خروجه من السجن وولايته كتابة السر وغلبة المظالم

وبعد مهلك السلطان بادر الوزير الحسن بن عمر الى اطلاق سراح ابن خلدون من الاعتقال ، وخلع عليه من الاكرام بُرداً ضافيا وأعاد اليه ما كان يتقلده من اعمال الدولة

وعند ما استلم السلطان أبو سالم زمام الملك استعمل ابن خلدون على كتابة سره وألقى اليه الامر في انشاء مخاطباته ، فعدل بالانشاء عن طريقة التسجيع وأخذ به في طريق الترسل ـ ولم يكن في كتّاب الدولة لذلك العهد من يجيد صناعة الترسل ـ فكانت هذه المزية من أسباب تفوقه وإحرازه قصب السبق في حلبة البيان والتحرير

ولم تزل مكانته لدى ابى سالم راضية ، ولم تزحزحة سعاية ابن مرزوق ـ التي تناولت أكثر رجال الدولة ـ عما كان يتولاه من كتابة السر وانشاء المخاطبات ، بل لم تقف في سبيل تقليده خطةَ المظالم آخر عهد الدولة ، حتى ثار الوزير عمر بن عبد الله على السلطان ونبذ الناسُ بيعته من أعناقهم

ابن خلدون في دولة الوزير عمر بن عبد الله

وقع زمام الحكم في قبضة الوزير عمر بن عبد الله وكانت بينه وبين ابن خلدون قبل توليه أمر الدولة مودّة وصحبة ، فأقره على ما كان يتولاه من العمل وزاد في جرايته . وكان ابن خلدون يطمح بطغيان الشباب الى غاية اسمى مما يتولى من الاعمال ، وفي أمله ان عناية صديقه المقتدر لاتتريث في اسعافه ببغيته . ولما لاح له ان الوزير أخل بعهد الصحبة أخذه الاستياء من تقصيره الى ان انقطع عن دار السلطان وهجرها إدلالاً بسابق المودّة ، ولكن منصب الوزارة انسى عمر بن عبد الله أن من أساليب عتب الاصدقاء وتذكيرهم بحق أغضوا عنه هجرَهم من غير جَفاء ، وصرف القدم عن زيارتهم لا عن ملل ؛ ولم يشأ منصبُ الوزارة إلا أن يفهمه أن تقاعد ابن خلدون عن مقر السلطان زَلّةٌ جرّه اليها تماظه وقلة وفائه بما يستحق مقام الرياسة العليا من إكبار وخضوع ، فبدلا من أن يرعى الوزير مقام الصداقة ويجعله أرفع مكانا وأقوى سلطانا من مقام الرياسة ، أخذته نخوة السلطة ، وقابل هجر العتاب والادلال بهجر الجفاء والتقاطع

ولما رأى ابن خلدون منه التنكر والاصرار على الاعراض عنه استأذنه في العود الى إفريقية ، فلم يجز له ذلك ، وشدد في منعه ، حتى دخل عليه يوم عيد الفطر وخاطبه بقصيدة يقول في طالعها :

هنيئا لعيد لاعداه قبولُ وبشرى لعيد أنت فيه منيلُ

خلت هذه القصيدة عقدة من إبائه ، واذن له في السفر ، على شرط ان لا يتخذ سبيله الى تلمسان ، كراهة ان يتصل بصاحبها أبي حمو وبشتد به أزر دولته

رجوع ابن خلدون الى الاندلس

احتمل ابن خلدون هذا الشرط ، وولّى وجهه شطر الاندلس وافداً على السلطان ابن الاحمر بغرناطة . ولما بات بمقربة منها وافته من وزيرها لسان الدين بن الخطيب رسالة يهنئه فيها بالقدوم ، ويعبر بها عن شدة ابتهاجه للقياه ووضع في صدر الرسالة أبياتا ـ على سنّة من يجيد صناعتي الشعر والنثر ـ وهي :

حلاتَ حلول الغيث في البلد المحلِ على الطائر الميمون والرحب والسهلِ
يميناً بمن تعنو الوجوه لوجهه من الشيخ والطفل المعصب والكهل
لقد نشأت عندي للقياك غبطةٌ تنسّي اغتباطي بالشبيبة والأهل

ارسال سفيرا الى ملك الاسبان

نزل ابن خلدون من السلطان ابن الاحمر منزلة الاحتفاء والانعام ، وندبه للسفارة بينه وبين ملك الاسبان ، فعرف الملك قيمته وأعجب بكماله ومقدرته ، حتى دعاه الى الاقامة معه بدار ملكه (إشبيلية) ، ملتزماً له بان يرد عليه ما كان لسلفه من أملاك ، فرفض ابن خلدون هذه الدعوة ، ولم يكن ممن يشغفه المال حباً فيؤثره على المقام بين أمته التي يشرف بشرفها وينحط شأنه بانحطاط سمعتها

التأليف في أخبار الوزراء

قال الاستاذ السيد عبد الله مخلص في ص ٨ ـ ١٠ من التصدير الذي وضعه لكتاب (الاشارة الى من نال الوزارة لعلي ابن منجب الصيرفي[1]) :

أول من دوّن أخبار الوزراء ـ على ما اتصل بنا ـ هو أبو عبد الله محمد بن داود بن الجرّاح المتوفّى سنة ٢٩٦ هـ بتأليفه (كتاب الوزراء)

ثم تابعه على ذلك أحمد بن عبد الله النقفي ـ المعروف بحمار العزير ـ المتوفى سنة ٣١٠ فألف (كتاب الزيادة في أخبار الوزراء)

ثم نسج على منوالهما أبو الحسن علي بن الفتح الكاتب المعروف بالمطوّق ، وانتهى فيه الى أيام الوزير أبي القاسم عبيد الله بن محمد الكَلْوَذاني الذي وَزَر للعباسيين سنة ٣١٩ هـ وعاش لما بعد سنة ٣٣٦

وجاء على أثرهم ابراهيم بن محمد بن نفطويه المتوفى سنة ٣٢٣ فصنف كتاب الوزراء

ثم جاء بعدهم ابراهيم بن موسى الواسطي فعارض كتاب ابن داود

ثم ابو عبد الله محمد بن أحمد الفارسي ، وأبو الحسين علي بن محمد بن المشاطة ، وأبو عبد الله محمد بن عبدوس الجهشياري ـ الذين لم نتحقق سنيّ وفاتهم ـ وعقبهم أبو بكر محمد بن يحيى بن عبد الله بن العباس الصولي المتوفّى بين سنتي ٣٣٥ ـ ٣٣٦ هـ فصنفوا كتباً في أخبار الوزراء

وصنع الصاحب أبو القاسم اسماعيل بن عباد بن عباس الطالقاني المتوفى سنة ٣٨٥ هـ كتاباً أسماه (أخبار الوزراء)

وألّف علي بن محمد بن عباس المشهور بأبي حيان التوحيدي المتوفى بعد سنة ٤٠٠ هـ (كتاب الوزيرين) وهما أبو الفضل العميد والصاحب بن عبّاد

وجميع هذه الكتب لم تصل الينا

---

(١) انظر باب حركة النشر والتأليف من هذا الجزء

وجاء بعد هؤلاء أبو الحسن هلال بن المحسن بن ابراهيم بن هلال بن حسين الكاتب المعروف بابن الصابيء المتوفى سنة ٤٤٨ هـ فوضع كتابه المسمى (تاريخ الوزراء والامراء) وقد مثل ما وجد منه للطبع المستشرق هـ . ف . آمدروز سنة ١٣٢٢ هـ في مطبعة الآباء اليسوعيين في بيروت

وعمل أبو الحسن محمد بن عبد الملك الهمذاني المتوفى سنة ٥٢١ هـ كتابه (أخبار الوزراء) ، ولم نعلم عنه غير اسمه

وممن كتب في أخبار الوزراء نجم الدين ابو محمد عمارة بن أبي الحسن اليمني الفقيه المتوفى سنة ٥٦٩ هـ فقد اتى في كتابه (النكت العصرية ، في أخبار الوزراء المصرية) على ذكر طائفة صالحة من الوزراء الذين عاصرهم وعاشرهم . وقد طبع هذا الكتاب في شالون من مدن فرنسا سنة ١٣١٥ هـ بعناية المستشرق هرتويغ درنبرغ الذي نقله الى اللغة الافرنسية وطبع ترجمته في سنة ١٣٢٧ هـ

ومنهم خليل بن المحسن الذي لم نطلع على تاريخ وفاته ، والشيخ تاج الدين علي بن الحسين السنّي البغدادي المتوفى سنة ٦٧٤ هـ صاحب الذيل على كتاب الوزراء لابن محسن المذكور ، وتاج الدين أبو الحسن علي بن أنجب بن ساعي البغدادي المتوفى سنة ٦٧٤ هـ أيضاً مؤلف (تاريخ الوزراء) ، وخواند أمير غياث الدين ـ من لم نعلم تاريخ وفاته ـ وله (تاريخ الوزراء) . وهذه الكتب لا يزال أمرها مجهولا

وآخر ما اتصل بنا من الكتب التي جاءت على تراجم الوزراء (كتاب الفخري في الآداب السلطانية) لمحمد بن علي بن طباطبا المعروف بابن الطقطقي الذي أتم كتابه سنة ٧٠١ هـ فقد ترجم فيه وزراء الدولة العباسية وطبع هذا الكتاب للمرة الاولى في غوطا سنة ١٢٧٧ هـ ثم في باريس سنة ١٣١٣ وفي مصر سنة ١٣١٧ وفيها أيضاً سنة ١٣٤٠

البيان

رَحيقُ النبيين [١] ، وإبريقُ العَبْقريين [٢] ، وحظُّ المَرْزوقين ، ونصيبُ المُوَفَّقين . وذَرا الجمال ، وذُرا الكمال [٣] ، والتوفيقُ الذي لا يُنال ، بسلطان ولا مال ، والخُلْدُ [٤] الذي يُؤخَذُ باليمين وغيره يُؤخَذُ بالشِّمال . صديقُ البشرية ، وعَدُوُّ الجَبَرية [٥] . حادي الإنسانية ، السائق بالمطية ، حتى تَبلغَ الطَّيبة [٦] . يمرُّ بها على الخيرِ وربُوعِه ، والبِرِّ وينبوعِه . ويُقبِلُ بها على الحق وقبيله [٧] ، ويَعدِلُها الى العَدْلِ وسبيلِه . ويُلِمُّ بها على الجمال ومغناه ، وعُرَف لفظِه تحت حُور معناه [٨] . ويلج بها على العواطف ، حنايا الضلوع واللواطف [٩] . وهو الملك على كل اللُّغات ، قد انتظمَ سلطانُه أقطارَ البلاغات . إذا انتقل من لِسان الى لسان ، في أمانةٍ من الناقل وإحسان ، أسْرَع في مُضاهاتِه [١٠] وتمكن في جهاته ، تمكُّنَ اللسان من لهاته [١١] . فكأنه التغريدُ أو البغام [١٢] أو منطق الانعام ، ترجع له الامم وإن ذهبتْ كلُّ أمةٍ بكلام

سوفى

---

(١) الرحيق الخمر ، شبه بها بلاغة الانبياء ، بجامع التأثير في كل : هذا في العقول وهذه في الأرواح

(٢) أي الابريق الذي يشرب منه العبقريون ، فيطربون الناس روائع الحكمة وفصل الخطاب

(٣) الذرا (بالفتح) الملجأ . والذرا (بالضم) جمع ذروة وهي القمة

(٤) دوام البقاء والمقصود به هنا الذكر الخالد (٥) الجبروت

(٦) الجهة التي اليها تطوى البلاد (٧) القبيل الجماعة من أقوام شتى

(٨) يقال هذا البيت تحت ساكنه فلان ، وعلى هذا القياس يكون اللفظ تحت معناه

(٩) اللواطف من الأضلاع مادنا من الصدر

(١٠) أي أسرع في مشاكلة اللسان المنقول اليه

(١١) اللهاة اللحمة المشرفة على الحلق في أقصى سقف الفم

(١٢) البغام صوت الظبية

أيمان العرب في الجاهلية

صناعة أبي إسحاق إبراهيم بن عبد الله النجيرمي الكاتب

نقلاً عن نسخي الخزانة التيمورية (٣٦٢ لغة) ودار الكتب المصرية (٢٣٤ مجاميع)

﴿ باب آخر ﴾

وأما عبدة الاوثان فانهم كانوا يقسمون بها ، كقولهم « لا واللات والعزّى [1]، لا ومناة »

وربما أقسموا بما يعتبر لها [2] . وقد فرغ ابن الكلبي من أسماء الاصنام في كتاب الاصنام [3] ، فأغنى ذكر ذلك ها هنا

وقد أقسمت العرب بالماء والسماء والنجوم . كقولهم « لا والسماء ،لا والماء ، لا والآيبات ، لا والطارقات ، لا والزاكمات » وكقولهم « لا والسابحات» السابحات النجوم . ومنه قول الله تعالى « وكلٌ في فلك يسبحون » . والآيبات النجوم اذا تصوّبت للمغيب ، يقال منه آب النجم . والطارقات النجوم اذا طرقت أي طلعت . والزاكمات اذا زالت عن كبد السماء

« لا ونفنف اللُوح ، والماء المسفوح ، والفضاء المندوح ، والنور الموجوح » أي المحجوب . النفنف ها هنا ما بين السماء والارض وكل هواء بين رأس جبل الى أسفله فهو كذلك . واللُوح الهواء بين السماء والارض ، وأضاف النفنف

(١) في صبح الاعشى (١٣ : ٢٠٣) ان اكثر حلف عرب الحجاز كان باللات والعزّى

(٢) قال ابن الاثير في النهاية : كان الرجل من العرب ينذر النذر يقول اذا كان كذا وكذا ، أو بلغ نتاؤه كذا فعليه ان يذبح من كل عشرة منها في رجب كذا . وكانوا يسمونها العتائر وقد عتر يعتر عترا اذا ذبح العتيرة . وهكذا كان في صدر الاسلام وأوله ثم نسخ . قال الخطابي : العتيرة تفسيرها في الحديث أنها شاة تذبح في رجب . . . أما العتيرة التي كانت تعترها الجاهلية فهي الذبيحة التي كانت تذبح للاصنام فيصبّ دمها على رأسها

(٣) هي الاستاذ العلامة أحمد زكي باشا بتصحيح كتاب الاصنام لابن الكلبي وتحقيقه والتعليق عليه . وسيصدر قريبا من مطبعة دار الكتب المصرية

اليه . والمسفوح المصبوب .وعنى به البحر . والفضاء يعنى الارض . والمندوح الموسع . وكانهم عظّموا هذه الاشياء لأن بها قوام العالم

﴿ باب آخر ﴾

يقولون « قسماً لأفعلنّ ذاك ، ويميناً ، وألية ، ونحباً . وعهداً ، ونذراً ، وموثقاً ، وميثاقاً ، وحقاً [1] ، ولحقّاً ، ولميناً ، ولقسماً » . وقال آخرون « لحقّ لأفعل » يرفعون بغير تنوين مع اللام [2] . والنحب النذر . وأنشد :

قضيتَ نحباً وجعلتَ نذرا [3]

والإصر العهد . ومن أيمانهم « بإصر وأصر ليكوننّ ذاك » وأنشد :

باصر يتركني الحي يوماً رهينة دارهم وهم سراعُ

ومعنى إصر : حَتْم لازم . كما قال يلزم العهد وكما يلزم اصرة الرحم . ومنه الاصر الثقل لأن اللازم الواجب يثقل كأنه قال : حقاً ليتركني الحي . ومنه قوله : فان اكبر فلا بأطير اصر يفارق عاتقي ذكرٌ خشيبُ

أطيرُ : فعيل من أطرَه يأطره أطراً إذا عطفه والمعنى ان عليّ اصراً يعطفني على أن لا افارق هذا السيف . وهذا كقولك أقسمت انما وقع علي الفراق فصار الفراق منفياً

والالُّ : العهد ، وهو أيضاً من أسماء الله تعالى . وهو الرحم أيضاً . ويوشك أن يكون انما اشتمل على هذه المعاني الثلاثة ، لان العهد سبب منوط بسبب الله عز وجل ، ولأن الرحم شجنة من الله عزّ وجلّ . ومعنى شجنة من الله سبب منوط من الله عز وجل [4]

---

(١) في الاصلين حنفاً ولم أجد له معنى وجيها (٢) المزهر ٢ : ١٦٨ والمخصص ١٣ : ١١٦ (٣) قولهم قضى نحبه كأنه ألزم نفسه أن يقاتل حتى يموت

(٤) الشجنة : الشعبة من كل شيء . يقال بينهما شجنة رحم ، كأنها حبل من حبال صلته

﴿ باب ﴾

قال أبو عبيدة : « أوذَمَ فلان يميناً » اذا أوجب على نفسه يميناً . وأوذم فلان بالحج ، وأوذم بحجة كأنه ناط على نفسه بحجة كأنياط أوذام الدلو[1]

وكذلك « أبدعَ يميناً ، وأبدع بالحج ، وبحجة » أوجبها على نفسه

وقال ابن الاعرابي : « لاوالذى أكتعُ له » أى أحلف به . ومعنى أكتع أوكد لانه وكَّد قوله بيمين من قولهم أجمعون اكتعون

أبو عبيدة « جير[2] » فى الايجاب بمعنى نعم وأجل . ويمين أيناً . وقالوا « لاجير » بمعنى جير كما قالوا : لا أقسم

الكسائى : عَوْضَ وعَوْضُ[3] . الاموىّ : عوضَ ومن ذى عوضَ . وقال أبو عمرو عوض من اسماء الدهر ، فكثر فى كلامهم حتى حلفوا به

ومن أيمانهم « لا وجدِّك » أقسم بجده الذي هو حظه[4] كما يقسم بعمره اذا قال « لعمرك » وكما تقول « وعيشك » . فاذا قال « أجدَّك » بمعنى أتجدُّ أنت كانه قال أتجدُّ جداً فى هذا القول ، فاضاف اليه الجد وخرج عن باب اليمين

وقالوا « صبَره يميناً يصبرُه صبراً » والصبر الحبس ، كانه حبسه عنها[5]

وقالوا « ألَته يميناً يألته ألتاً » ومنه قول الله تعالى « لا يألتكم عن أعمالكم شيئاً » أى لا يحبس ولا يؤخر

وقالوا « حلف بالفَنُوس[6] » أى بيمين تغمسه فى الاثم

---

(١) أوذم السقاء اذا شده بالوذمة وهو السير

(٢) المزهر ٢ : ١٦٨ والغالي ٣ : ٥٢ والمخصص ١٣ : ١١٦ .

(٣) المخصص ١٣ : ١١٦ . ولايزالون في دمشق يقسمون بالحظ فيقول احدهم «بحظي»

(٤) المخصص ١٣ . ١١٦

(٥) المخصص (١٣ : ١١٦) . وقال الخطيب الشربيني في تفسيره : اليمين الغموس هي ان يحلف على أمر ماض أنه كان ولم يكن . وفي محاضرات الراغب (١ : ٢٩٨) وقال النبي صلى الله عليه وسلم « اليمين الغموس تدع الديار بلاقع »

وقالوا « لا خير فى يمين لا تخارم لها » أى لا مخارج لها . والمخرم منقطع أنف الجبل ، وهو الطريق فيه فشبّهوا التأوّل فى المخلص من اليمين به . ويوشك ان يكون انما خصّوا المخرم لانهم شبهوا اليمين بالجبل استثقالا لها فسمّوا مجازها بمجاز الجبل

وقالوا « يمين جلواء ، وحلفة جلواء ، وبينة جلواء » أى ينجلي بها الحق وينكشف . وأنشد :

لكل أمر واقع أحناه شهادة أو حلفة جلواء

به تقوم الارض والسماء وكل شيء غير ذا عداء

وأحناه الامر أراد به أركانه ، أخذ من أحناء الرحل ، الواحد حنو . والعداء الظلم . والمعنى ان كل شيء مرتفع فيه تنازع فهذه سبيله . قال زهير :

فان الحقّ مقطعه ثلاث : يمينٌ أو نفار أو جلاء [1]

فاليمين معروفة ، والنفار المنافرة الى الحكام وهى المحاكمة اليهم ليفصلوا بالحق ، والجلاء البينة التى تجلو الشك والشبهة فتغني عن اليمين وعن التحاكم . واذا حلف الرجل قالوا له : جلا أبو فلان ، وتحلّلْ ابا فلان [2] أي استثن [3] أى قل ان شاء الله . وربما قالوا ذلك على سبيل الاستعطاف للحالف والرفق به .

(١) كان عمر بن الخطاب أمير المؤمنين رضي الله عنه يعجب من حسن هذا التقسيم ويردد بيت زهير من التعجب . ورووا عنه أنه قال : لو ادركته لوليته القضاء لمعرفته بما تثبت به الحقوق . انظر البيان والتبيين ١ : ١٣٥ والصناعتين ٢٦٨ والعمدة ١ : ٣٠ وشرح بانت سعاد لابن هشام ١٦ (مصر سنة ١٣٢١) وغيرها

(٢) فى الاصلين « وتحدل أبا فلان » وصححته من قول الراغب في المحاضرات (١ : ٣٠٠) : كانت العرب تسمى الاستثناء في اليمين « التحليل » . قال الشاعر :

تحلل أبيت اللعن فى قول آثم

وقال : واذا حلفت مماريا فتحلل

وقال تعالى « تحلة أيمانكم »

(٣) ومن هنا سموها « المثنوية » المخصص (١٣ : ١١٥) . وفي محاضرات الراغب (١ : ٣٠٠) عن النابغة : حلفت يمينا غير ذي مثنوية

وربما قالوا على سبيل الهزء منه

ويقال « حلف حلفاً ، وحلفة واحدة »

وقالوا « أقسم بالله » وأصله أنه وصل بالله تعالى الى قسم من الاقسام حلف به ، ثم كثر هذا واتسع . والقسم مذكر ، يقولون « اقسم بالله قسماً صادقاً ، وقسماً باراً »

وقالوا « آلى يؤلى ايلاء[1] »

وأصل « اليمين » أنهم كانوا اذا تحالفوا وتعاقدوا تصافقوا بأيمانهم ، ولذلك قيل « أعطاه صفقة يمينه على هذا الامر[2] » ثم سمي الحلف يميناً على ذلك المعنى . وأنثوا اليمين على تأنيث اليد فقالوا « حلف يميناً برّةً ، ويميناً فاجرة »

قال أبو عبيدة : كانوا في الجاهلية الأولى اذا تحالفوا وتعاهدوا أوقدوا ناراً ودنوا منها حتى تكاد تحرقهم ، وعدّدوا منافع النار ودعوا على ناقض تلك اليمين ، والناكث لذلك العهد ، بحرمان تلك المنافع ، ويتصافحون عندها ويقولون « الدم الدم ، والهدم الهدم[3] » والمعنى دماؤنا دماؤكم وهدمنا هدمكم ، والهدم اسم البناء المهدوم ، أي فما هدم لكم من بناء أو شان فقد هدم لنا وما أريق لكم من دم فقد أريق لنا ، يلزمنا من نصرتكم ما يلزمنا من نصرة أنفسنا . وعبّروا على استعمال ذلك يتوارثونه الى ان أتى الله تعالى بالاسلام ، وكان الحلف بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين الانصار فقال صلوات الله وسلامه عليه لهم « الدم الدم والهدم الهدم »

وكانوا يقولون « عهدا لا يزيده طلوع الشمس إلا شدّاً ، وطول[4] الليالي إلا مدّاً »

---

(١) انظر ص ٢٤١ (٢) النهاية لابن الاثير (صفق)

(٣) النهاية لابن الاثير (هدم) والحيوان للجاحظ (٤ : ١٥٠) ولسان العرب (هدم)

(٤) في الاصل « وطلوع » وصححته من الحيوان (٤ : ١٥٠)

و « ما بلّ بحرٌ صوفة [١] » و « ما أقلّ رَضْوَى [٢] »

وربما دنوا من النار حتى تكاد تحشهم [٣] ، أو تكاد تحرقهم . ويهولون بها على من يستخف بحقوقها ، ويتوعّدونه بحرمان منافعها ومرافقها [٤] ، وفى ذلك نكد العيش وحرمان الحياة

ويسمون الرجل القيم بأمر تلك النار « المهوِّل » [٥] وقد ذكرته الشعراء . قال الكميت :

كهولة ما أوقد المحلفون لدى الحالفين وما هوّلوا [٦]

[و] قال أوس [بن حجر] وذكر عَيْراً قائماً فوق نشز :

اذا استقبلته الشمس صدّ بوجهه كما صدّ عن نار المهوِّل حالفُ [٧]

وكان من شأنهم اذا تحالفوا أن يغمسوا أيديهم فى الدم ، وما زالوا على ذلك الى أن كان الحلف الواقع مشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو حلف المطيّبين وحديثه معروف [٨]

وكانوا ربما تعاقدوا وتعاهدوا على الملح . والملح عندهم شيئان : ملح الادام التى يتملح بها ، واللبن . وذلك أنه سواء عندهم [أن يجتمعوا على طعام وملح ، أو على شرب لبن . هذا عندهم [٩]] مملحة . ولذلك سموا اللبن ملحاً فقالوا من البابين جميعاً « بيننا ملح » وعلى هذا قال أبو الطمحان القينى :

---

(١) فى تاج العروس : وصوفة البحر على شكل هذا الصوف الحيوانى . ومن الابديات قولهم « لا آتيك مابل البحر صوفة » حكاه الصغانى

(٢) الحيوان ٤ : ١٠٠ . ورضوى جبل بين المدينة وينبع (٣) الحيوان (٤ : ١٠٠) والمخصص (١٣ : ١١٠) والنهاية ولسان العرب وتاج العروس وغيرها

(٤) المخصص ١٣ : ١١٠ (٥) الحيوان ٤ : ١٠٠

(٦) محاضرات الراغب (١ : ٣٠٢) والبيان والتبيين (٣ : ١) والحيوان (٤ : ١٠٠)

(٧) البيان والتبيين (٣ : ١)

(٨) النهاية لابن الاثير (مادتا حمس ، وطيب) (٩) الزيادة من التيمورية

وانى لأرجو ملحها فى بطونكم وما بسطت من جلد أشعث أغبرا (١)

أي سمنتهم هذه الالبان بعد الهزال . وقال شتيم بن خُويلد :

لا يبعد الله رب العباد والملح ما ولدت خالده (١)

وأما كهان العرب فانهم كانوا يقسمون بالسماء والماء ، والارض والهواء ، والنور والضياء ، والظلمة ، وبغير ذلك مما هو موجود في أخبارهم ، كما أقسم سواد بن قارب الدوسى : « أقسمُ باضياء والحَلَك ، والشروق والدَّلَكْ (٢) » وهى كثيرة موجودة في كتب أخبارهم

﴿ باب ﴾

يقال آلى فلان يؤلي إيلاء . قال : والاسم الالية . فاذا قيل آلى يفعل ، وآليت أفعل ، فهو قسَم على ترك الفعل ، لأن اليمين بمنزلة النفى للفعل حتى يأتى باللام التى هى آلة للقسم ، كقولك آليت لافعلن . وكذلك قولك والله أفعل وأقسمت أفعل . وهذا مما يغالَط به ويجوز على كثير من الناس . وعلى هذا قول المتلمس :

آليت حَبَّ العراق الدهرَ أطعمه والحبُّ يأكله فى القرية السوسُ

هذا آخر ﴿ أيمان العرب ﴾

والحمد لله وحده ، وصلاته على خيرته من خلقه

سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيرا

(١) الحيوان للجاحظ (٤ : ١٥١) (٢) محاضرات الراغب (١ : ٣٠٢)

﴿ اليمين الرقيقة ﴾

قال عبدُ الله بن المعتزّ العباسي : بودّي لو أن لي بيتَ الخَثْعَمِيّ بألف بيت :

وآلت يميناً كالزُّجاج رقيقةً وما حلفتْ إلا لتحنَثَ من أجلي

نشيد الافول

يارائد القوم ان القوم أنضاء ... والبيد طامسة و الريح هوجاء
فيم اختراقك للآفاق مقتحما ... ضنك الحتوف ولم تحبسك وعثاء
ابن الصديق ، وابن المستعان به ؟ ... هيهات ! قد ذهبت بالود عنقاء

***

هات الدموع وحسبي البلاء بها ... أن الدموع يدٌ لله بيضاء
فالغيث يوم تكون الارض مجدبةً ... كالدمع يوم تمسُّ النفسَ ضرَّاء
سل التراب فكم في طيه اختبأت ... عين يحدثنا عن دمعها الماء
وما الخرير سوى شجو يغص به ... كما تغصُّ بشجو البين خرساء
ما انفك متصل الاسباب منسجما ... في الارض منذ بكت في الارض حواء

***

ياساقي الراح صرفاً أو مشعشعة ... دعني ، فراحة تلك الراح إعياء
وكيف أنهض بالروحين في جسدٍ ... مِن حَمل واحدة اودى به الداء
صفراء كالورس أو حمراء ساطعة ... في الكأس صافية في الرأس كدراء
ان كنت تطمع في صهباء تشربها ... فسائغ الشعر للارواح صهباء
كم شاعر لمس الاقلام فاندفعت ... شدواً كما صدح المزمار والناء
طوراً يئن واحيانا ينوح بها ... كما تنوح على الارواح ورقاء
حكيت مزاميرَ داود قصائدُه ... كأنما هي من جبريل املاء
فطار بي في السماء الشعرُ منتقلا ... فكان لي في سماء الشعر إسراء

وانجاب كل حجاب كان منسدلا للغيب وانتفضت هام وأصداء
وللانام دويّ في محافلهم وللمزاعم في الارجاء ضوضاء
فارجع الى الفطرة المأمون جانبها فالوحى ابلج والالهام وضاء
قل للذين مشوا فوق الثرى مرحا كم في الثرى أمم بادت واحياء
ما كان يطعمهم إلا ليأكلهم وليس تؤكل حتى تطعم الشاء

فؤاد الخطيب

السويس

بين الشرق والغرب

قال الشاعر الانجليزي كِبلنغ «ان السويس هي آخر مراحل المدنية من الغرب» أو شيء من هذا. أي انك اذا كنت قادماً من أوربة، تودّع المدنية ساعة تجتاز الترعة

وقد فات كبلنغ وهو شاعر، وللشاعر شيء من النبوءة، ان مصر، وهي أم السويس، ستنفي في المستقبل قوله، أو ستصلحه، فتكون السويس اذ ذاك أول مرحلة من مراحل المدنية في الشرق

وها هي ذي اليوم، شقيقة العرب وشقيقة الهند تسير في تلك الجادة البيضاء التي ظنّ الشاعر أن الترعة آخرها، فترفع للمدنية أعلاماً في الشرق الادنى، وتفتح أبواباً للحرية والاستقلال، تدخلها الشعوب العربية كلها إن شاء الله

السويس في ١ نوفمبر سنة ١٩٢٤

أمين الريحاني

مدينة الزهراء

ـ التي اختطها الخليفة عبد الرحمن الناصر سنة ٣٢٥ هـ ـ

والتنقيب الجاري الآن لاكتشافها

كتب المسيو اندرِ مفيل M. André Mévil في العدد ٣٠٠ من جريدة الديبا لسنتها ١٣٦ الصادر يوم ٢٨ اكتوبر سنة ١٩٢٤ ما يأتي :

مابرح التنقيب جارياً منذ بضع سنوات ـ بمساعي دون ريكاردو ڤالاسكاز المهندس Don Ricardo Valasquez المكلف بتجديد جامع قرطبة ـ للكشف عن آثار القصر العربي الشهير الذي يذكرنا بقصور ألف ليلة وليلة ، وأعني به قصر (الزهراء) الذي شيده بقرطبة الخليفة عبد الرحمن الناصر في القرن العاشر الميلادي اكراماً واجلالا لاحدى نسائه

ويؤخذ من أقوال كاتب عربي من أهل ذلك العصر أن الخليفة الناصر أشرف بشخصه على إنشاء (الزهراء) الذي استخدم فى تشييده عشرة آلاف عامل ، وكانت مواد البناء تنقل على ألف بغل وأربعمائة جمل ، ويؤتى في كل ثلاثة أيام بعشرة آلاف حمل من الكلس والجصّ

أما جدران الزهراء — التي يصحّ أن يقال إنها من صنعة الجنّ — فكانت قائمة على أربعة آلاف وثلاثمائة عمود من الرخام الابيض الذي جيء به من ايطاليا ، ومن الرخام الاخضر والوردى الذى جيء به من تونس وأماكن أخرى . ودام البناء مدة خمس وعشرين سنة . وبلغ ما انفق عليه سبعة ملايين وخمسمائة الف دينار ذهباً . وبصرف النظر عن الخيال الشرقي فان هناك فى الواقع بناء عظيم الاهمية جداً ، وهو فى أقصى غايات الجمال

وقد ألقى السنيور يواكين ناڤاسكوس Yoaquin Navascues مدير المتحف الاثري فى قرطبة محاضرة أتى فيها على بيانات مهمة جداً عن الحفريات الجارية الآن للعثور على آثار الزهراء . وان ما اكتشف منه حتى الآن جدير بالذكر وذو قيمة عظيمة فى نظر العلم الأثري . ويمكن التأكيد أن فناء القصر كان مستطيلاً بين اضلاعه المتوازية زوايا قائمة ، وقد أصبحت آثاره ظاهرة تماماً . وأحد جدرانه ـ وهو الجدار المتوسط ـ يبلغ طوله ألفاً وخمسمائة متر . وكان فى هذا الفناء غير الدار المسماة بالقصر عدد من الأبنية أعدت لكبار رجال الدولة . وهنالك ساحة لم يعثروا فيها على أثر للبناء ، والمظنون الآن أنها كانت حدائق

وقد استرشدت اللجنة القائمة بادارة الحفريات بوصف حفلة دفن الخليفة الناصر الذي تركه لنا مؤرخ من معاصريه فدلها ذلك الوصف على خطط الدار التي كانت تسمى (دار القباب) وفيها كانت تقطن حرم الخليفة ، وعلى خطط (دار المخطوبة) حيث كان يجلس رجال الدولة

وظهرت آثار كثيرة ومهمة فى خلال التنقيب المستمر منذ بضع سنين . ومما استخرجوه اعمدة وتجاويف جميلة من الرخام ، وتيجان الاعمدة تخلب الانظار بمحاسنها ، وفسيفساء وأوان خزفية وزجاجية . وهذه الآثار معروضة الآن فى متحف صغير أنشيء فى مكان التنقيب الذي لا يزال مستمراً بهمة ، وربما جاءنا بمفاجئات لم تكن فى الحسبان

أندر مقبل

﴿ الزهراء ﴾ — سنأتي فى العدد الآتي على وصف مسهب لهذه المدينة التي كانت من أعظم مفاخر العرب فى الهندسة ودقة الذوق وإحكام الصنعة

صفحة من تاريخ الاباضية

الامر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان عند الاباضية ، وقسمان عظيمان من أقسام الاسلام وجبا على كل شخص متى نيطت به عُهدة التكليف ، يستوي في هذا الواجب الذكور والاناث كلٌّ في جنسه ؛ لِما ورد في الكتاب العزيز من الآيات الموجبة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والمادحة لهما — كقوله سبحانه « ولْتَكُنْ منكم أُمَّةٌ . . . » الآية وقوله « والمؤمنون والمؤمنات بعضُهم أولياء بعض . . . » ، وآياتِ الوعيد على تركهما كقوله تعالى حكايةً عن بني اسرائيل « كانوا لا يتناهَوْن عن مُنكَر فعلوه . . . » الآية — ولِما ورد في السُّنَّة الصحيحة كقوله عليه الصلاة والسلام « لتامرُنَّ بالمعروف ولتنهَوُنَّ عن المنكر أو ليسلطنّ اللهُ عليكم شِرارَكم فيدعو خيارُكم فلا يُستجابُ لهم » وأمثال ذلك

ولم تزل للاباضية هذه السيرة ، وفيهم هيئات دينية تقوم بهذا الواجب شبيهة بجماعة الأئمة العادلين تحرس الشعب من تطرُّق البدع اليه ، وربما أفردنا لها مقالاً بعدُ . وان العلماء يقومون بهذا الفرض فعلاً ، والعامة لساناً ؛ فاذا زاغ الامام أو ترك القيام بالحدود الشرعية وجب على جماعة المسلمين الأمر بالمعروف والنهي على المنكر بالقوة إن استطاعوها . لهذا كان الاباضية يقومون في وجوه أئمة الجور ، والدليل الصحيح لهذا قوله صلى الله عليه وسلم « من عمل عملاً ليس عليه أمرُنا فهو رَدّ[1] » وهذا الحديث معدود من أصول الاسلام وقاعدة من قواعد الدين

ولما اشتد الاضطراب في البصرة إذ تولى حكمها رجال عتاةٌ لا يرقبون واجباً ، فازداد الامر ارتباكاً ، ووضعوا السيف في الرقاب ؛ كانت القلاقل متوالية

(١) ورد في (المسند الصحيح) للربيع بن حبيب الفراهيدي البصري

بدون انقطاع ، فوقف زياد يوماً على المنبر يخطب فقال في خطبته :

« لآخذن المحسن بالمسيء ، والحاضر بالغائب ، والصحيح بالسقيم . . . »

فقام اليه أبو بلال مرداس بن حدير ـ أحد بني ربيعة بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم ـ وكان بالمسجد فقال :

ـ ما هكذا ذكر الله اذ يقول « وإبراهيمَ الذي وفّى ، ألاّ تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أخرَى ، وأنْ ليس للانسان إلاّ ما سعى ، وأنّ سعيَه سوف يُرى ، ثم يُجزاهُ الجزاءَ الاوفَى »

ثم ألحّ زياد في طلب الذين نقموا عليه أعماله ، فصار يقتل بالظنة ، ويخصّ من شاء بالفيء ، فأجمع أبو بلال هو وأصحابه أمرهم على الخروج ، فقال لاصحابه :

ـ ان الاقامة على الرضى بالجور لذنب ، وإنّ تجريد السيف واخافة الناس لعظيم ، ولكن نسير في أرض الله ولا نجرّد سيفاً ، واذا أرادنا قومٌ بظلم امتنعنا منهم

فقالوا له : ـ أنت رئيس المسلمين وبقيتهم

فخرج في ثلاثين من أصحابه ، فلقيه على جسر البصرة عبد الله بن رباح عامل عبيدالله بن زياد ـ وكان صديقاً لأبي بلال ، وكان فاضلا ـ فراودهم على الرجوع ، فأبوا . فأتوا الاهواز فأصابوا أموالا تحمل لابن زياد ، فأخذوا أعطيتهم منها وتركوا الباقي

ولما بلغ الأمر عبيدَ الله بن زياد وجه اليهم جيشاً في ألفين عليه أسلم بن زرعة ، فاقتتل الجيش أثر أبي بلال وجماعته . ومرّ ناس على أصحاب أبي بلال فسلموا عليهم فردوا عليهم التحية ، فقال لهم أصحاب أبي بلال :

ـ أمن هذا الجيش الذي يريد قتالنا ؟

قالوا : — لا

فقال أبو بلال : سلمكم الله ، ابلغوا من لقيتم أنا لم نخرج لنفسد فى الارض ، ولا نقاتل إلا من اكرهنا على قتاله ، ولا نأخذ من الفيء إلا اعطيتنا

وبلغهم أسلم بن زرعة وهم في آسك من نواحي الاهواز بين أرجان ورامهرمز ، وكانوا فى أربعين رجلاً فقالوا لأسلم بن زرعة :

ـ اتق الله ، فانا لانريد قتالا ، فما تريد ؟

قال : ـ أردكم الى ابن زياد

قالوا له : ـ يقتلنا ، فتشاركه فى دمائنا ؟

قال : ـ نعم ، دماؤكم حلال ، وهو محق

قالوا : ـ اللهم ان كان كاذباً فانصرنا عليه

فاقتتلوا ، فانتصر أبو بلال وأصحابه . فقال فى ذلك عيسى بن فاتك الخطي ـ أحد بنى تيم الله بن ثعلبة ـ فى كلمة له :

فلما أصبحوا صاوا وقاموا الى الجرد العتاق مسومينا
فلما استجمعوا حملوا عليهم فظل ذوو الجعائل يقتلونا
بقية يومهم حتى أتاهم سوادُ الليل فيه يراوغونا
يقول بصيرهم لما أتاهم بأن القوم ولوا هاربينا
ألفا مؤمن فيما زعمتم ويقتلهم بآسك أربعونا
كذبتم ليس ذاك كما زعمتم ولكن الخوارج مؤمنونا
هم الفئة القليلة غير شك على الفئة الكثيرة ينصرونا

وغضب عبيد الله بن زياد على أسلم ، فقال أسلم :

ـ لأن يذمني ابن زياد وأنا حي ، أحب اليّ من أن يمدحني وأنا ميت

ثم أرسل اليهم ابنُ زياد عبّادَ بن أخضر فى أربعة آلاف مع من انضم اليهم ، فلما التقوا بأبى بلال قال لعبّاد :

ـ ما تريد ؟

قال له : ـ أردّكم الى ابن زياد

قال : ـ أتدعونا الى طاعة من يسفك الدماء ، ويأخذ المال الحرام ، ويعطل الحدود ، ويرتشي فى الحكم ، ويتسلط بالجبروت ، ويقتل بالظنة ، ويأخذ على التهمة ، لا يقيل عثرة ولا يقبل معذرة ؟

قال : ـ نعرف ما تقولون ، ولكن لهم مع ذلك الطاعة

وقيل انه قال : ـ كذبتم ، هو خير منكم ، وأنتم أولى بالضلال منه

وقدم القعقاع بن عطية الباهلي من خراسان يريد الحج ، فقال :

ـ ما هذا ؟

قيل له : ـ الشُراة

فحمل عليهم . وانتشبت الحرب فى يوم جمعة وأبو بلال يتلو « من كان يريد حَرْثَ الآخرة نَزِدْ له فى حرثه . . » الآية . فأُسر القعقاع ، فقال لابى بلال :

ـ لست من اعدائك ، وانما خُدعتُ ولم أعلم

فأطلقه . ورجع يقاتله ، فحمل عليه رجلان من أصحاب أبى بلال يقال لهما حُريث وكهمس ، فأسراه وقتلاه . وكان وقت صلاة الجمعة ، فنادى أبو بلال :

ـ إنا فى يوم عظيم ، فدعونا حتى نصلي ونصلوا

فأجابوهم . فلما دخل في الصلاة هو وأصحابه كرّوا عليهم فقتلوهم بين راكع وساجد عن آخرهم

وأبو بلال ممن اشتهر بالورع والعلم والشجاعة ، وله وقائع اخرى

* * *

وذكر عبيدُ الله بن زياد البلجاء الحزاميّة [1] من بني حزام بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم ، وكانت مشهورة بالعلم والورع والزهد والنسك . فلقى غيلانُ بن خرشة الضبي أبا بلال فأخبره بأن الامير يذكر البلجاء . فمضى أبو بلال اليها فقال لها :

— ان الله جعل لاهل الاسلام سَعَةً في التقية ، فان هـذا الجبار المسرف ذَكَرَكِ

قالت : — أكرهُ ان يصل الى أحد مكروهٌ بسببي ، فان أخذني فهو أهْوَن له وأخذها فقال لها : إنك حرورية محلوقة الرأس

فقالت : ما أنا كذلك

قال : لأُرِيَنَّكم منها عجبا ، اكشفوا رأسها

فمنعتهم . فقال لأكشفنَّ احسن بضعة منك

فقالت : لقد سترته حيث لم تستره أمك

قال : إيه ، ما تشهدين عليّ ؟

قالت : شهد الله عليك ثلاث شهادات بقوله « ومن لم يحكم بما أنزل الله فاولئك هم الكافرون — و — الظالمون — و — الفاسقون » وشهدتَ على نفسك أن أولاك لَزِينة وآخرك لدعوى

فغضَّ على لحيته ، فقتلوها . فخرج أبو بلال فى جنازتها فقال :

— لو أعلم أنى أُبعث على ما تبعث عليه لعلمت أنى ابعث سويّا على صراط مستقيم

وروى أنه قطع يديها ورجليها وطرحها فى السوق فمرّ بها أبو بلال فقال :

---

(١) ويروى البنجاء

ـ لهذه أطيب نفساً عن بقية الدنيا منك ، مامن ميتة أموتها أحبّ الىّ من ميتة البلجاء

وكان ابو بلال وأصحابه اذا اشتدت بهم الحاجة باعوا حلى سيوفهم ، ولا يأخذون شيئاً الا عطاءهم

* * *

وقام فى أوائل القرن الثانى (١٢٩ هـ) طالب الحق عبد الله بن يحيى بن عمر بن الاسود بن عبد الله بن الحارث بن معاوية بن الحارث الكندى ، وكان قاضياً لابراهيم بن جبلة عامل التويسم على حضرموت وهو عامل مروان بن محمد ، وأظهر التويسم الجور باليمن وحضرموت فنزع الناس الى عبد الله بن يحيى . فكتب الى أبى عبيدة مسلم بن أبى كريمة التميمى ـ الامام اذ ذاك بالبصرة بعد أبى الشعثاء وأنبغ من أخذ عنه ـ يستشيره فى الامر ويسترشده . فأجابه :

ـ ان استطعت فلا تبق يوماً واحداً

وأرسل اليه جماعة من الأبطال يعتمدهم فى أموره ومهماته ، ويتولون جيوشه . منهم أبو حمزة المختار بن عوف بن سليمان بن مالك بن فهر الازدي أحد بنى سلمة [1] ، فكتب اليه يصف أبا حمزة « انا بعثنا لك برجل قرآنه فى صدره » يعنى علمه بالقرآن . ومنهم بلج بن عقبة الازدى أحد بنى مسعود وكتب اليه « انا بعثنا لك اثنى عشر رجلاً وألفاً » يعنى بالالف بلج بن عقبة وكان من الابطال المعدودين

ولما وصل هؤلاء الى عبد الله بن يحيى استولى على صنعاء ، وخلص له اليمن ، فقسم ماوجد من الاموال على فقراء صنعاء ، ولم يتبع مدبراً ولا أجهز على جريح ولا استحل شيئاً من الاموال وفر التويسم عامل مروان

(١) فى كتاب الاشتقاق لابن دريد : أحد بنى سليمة بن مالك

وفى موسم الحج وجّه عبدُ الله بن يحيى الى مكة أبا حمزة المختار بن عوف وبلج بن عقبة وابرهة بن على فى جيش لأداء فريضة الحج وتأمين السبل وإنقاذ الحرمين من الجور . فشت السفراء بين أبى حمزة وعبد الواحد والي بنى أمية بأن يلتزم الفريقان السلام الى أن يتم للناس حجهم ، فبقى أبو حمزة محايداً ، وكان بلج بن عقبة يأتى الجار مصحوباً بقوة من الخيل خوف الغدر به . فلما تم الحج وقضى الناس مناسكهم فرّ عبد الواحد ليلا الى المدينة . فاستولى أبو حمزة على مكة ، وخطب على منبرها ، وأقام فيها ما شاء الله

ثم قصد ابو حمزة المدينة فاستولى عليها ، وخطب خطبة وعتها القلوب لم تزل من متخيَّر القول ومن منتقيات الترسُّل عند أهل الادب . وكان من الذين حضروها وحفظوها مالك بن أنس اليحصبي عالم المدينة

وخرج أبو حمزة يريد الشام ، فثار عليه أهل المدينة ، وكان قد وصلت جيوش الأمويين وعليها عبد الملك بن عطية فالتقى الفريقان . فقال أبو حمزة :

ـ ندعوكم الى كتاب الله وسنة نبيه ، فالى مَ تدعوننا انتم ؟

قالوا : — ندعوكم الى طاعة مروان

فاقتتلوا ، وكانت الواقعة بقديد ـ بين مكة والمدينه ـ انتصر فيها الامويون بعد أن خسروا من جيشهم نحو أربعة آلاف . فرجع أبو حمزة الى مكة وهم فى أثره حتى ادركوه ، فوقع بينه وبينهم (يوم مكة) وفيه قتل أبو حمزة وقتل معه أبو الحرّ على بن الحصين العنبرى وكان من خيار علماء المسلمين وفقهائهم بمكة ومن الاغنياء الاجواد المنفقين فى وجوه البرّ

ثم سار عبد الملك بن عطية الى اليمن فتغلب على عبد الله بن يحيى الكندي فقتله . وسار الى حضرموت فقاتله أهلها ، فتحصن منهم في قرية هناك ، فحاصروه أربعة وعشرين يوما ، حتى أعياه الامر فطلب منهم الصلح فصالحوه على أن يردّ

جميع ما فى عسكره من الاموال التى أخذها ، فسلبها لهم فأخذوا ما عرفوا . ثم أرسل اليه مروان أن يلتحق بالحج ليصلى بالناس ، فخرج فى نفر من أصحابه مبادراً الى الحج وجيشه خلفه ، فوافق رجلين من الاباضية أخوين يعرفان بابنى جمانة ، فظناه منهزماً ، فدخلا هما وأصحابهما عليه قرية بات فيها ، فقتلوه هو وأصحابه

وهنا انتهت سلطة الاباضية ـ أبى حمزة وطالب الحق ومن معهم ـ بالحرمين واليمن ، وانحصرت فى عُمان

ابو اسحاق : ابراهيم الطفيش

يا بلادي

أقيمت لخليل بك مطران حفلة تكريم فى (بستان الاقتراح) بترحيفا وهو عائد الى مصر ، فألقى فى تلك الحفلة قصيدة منها هذه الابيات :

يا بلادى اليكِ يهفو فؤادي كلَّ آنٍ شوقاً ويلتاعُ وجدا
كلما اشتدتِ الصروفُ بأهليـ ـكِ زما ذلك الهوى واشتدّا
كيف لا توهب الحياة فدى شعـ ـبٍ كهذا الشعب العزيز المفدّى
وطني الباكي الحزين الذي نشـ ـرب فيه أسىً ونشرق سُهدا
ان تُجزّأ من وحدة لم يكن حدُّك في القلب غيرَ ما كان حدّا
كيف يبني ذاك المفرّق حسّا فى بني الأمّ بين روحين سدّا
من ذُرى كرملٍ الى حلبٍ الـ ـفيئت قرباً ما كان يُحسب بعدا
وطني لو يبعدنا عنك يوماً بيع خلد النعيم لم نشرِ خلدا

خليل مطران

ابن رشيق

— من محاضرة الاستاذ عبد العزيز الراجكوني —

﴿ ولادته ﴾

وأيام تربيته بالمسيلة (المحمدية)

قال ابن بسام فى ذخيرته[١] « بلغني انه وُلد بالمسيلة وتأدّب بها قليلا ثم ارتحل الى القيروان سنة ست واربعمائة » وقال بنفسه[٢] فى آخر انموذجه « صاحب الكتاب هو حسن بن رشيق ، مولًى من موالي الأزد . وُلد بالمحمدية سنة ٣٩٠ هـ وتأدّب بها يسيراً وقدم الى الحضرة سنة ٤٠٦ هـ وامتدح سيّدنا (المعزّ) سنة عشر » اهـ . قال ابن خلكان وقال غير ابن بسّام وُلد بالمهدية اهـ أقول والقول مردود بتصريح ابن رشيق على أن ابن فضل الله نسبه الى المسيلة وهذه النسبة لا تتأتى إلاّ بالولادة فان نشأه كان بالقيروان على الاتفاق . وكان أبوه رشيق مملوكاً رومياً كما يفهم من عبارة الانموذج المارّة وعلى ما صرّح نفسه[٣] فى الرد على ابن شَرَف بعد ذكره نسبَ ابن شَرَف هو اسم امرأة نائحة « وأما أنا فنظر الله فى وجنة (كذا) هذا الشيخ إليّ ، وأنعمَ به النعمة عليّ . فما أبغي به أبا ، ولا أرضى بمذهبه مذهبا . رضيت به روميا بلادعيا ولا بدْعيا » وكان مولًى لأزديّ كما مر — وهكذا يعلم من الوفيات وإنباه الرواة[٤] والمسالك . إلا أن صاحب البساط ضرب في حديد بارد وأخذ في الدعاوى وهاك ما قال[٥] :

والذي تحقق لدينا بعد الفحص الطويل عن حياة و(كذا) أخبار هذا الفحل أنه لم يثبت بكيفية قطعية أن أصل أبيه مملوك رومىّ كما يزعمه بعض أهل التراجم بدليل أن اسم رشيق هو

(١) ابن خلكان ١ : ١٣٣ وأمارى عن مسالك الابصار ٦٥٠
(٢) معجم الادباء ٣ : ٧٠ (٣) ٣ : ٧٠ (٤) في مجموعة أماري (٥) ٥٦

من الاسماء العربية المستعملة بكثرة فى ألقاب العائلات العربية الأصل المنتصبة بافريقية فى ذلك الزمان » اه بلفظه

أقول وهذا القول لا يصلح للالتفات إلا أننا نضيف الى ما مر عدة دلائل

(١) لا تكاد تعثر على أسماء أجداد الذين أسلموا كياقوت بن عبد الله الرومى — وهذا بعينه شأن ابن رشيق فان أحداً لم يذكر جدّه . فان الاسلام يَجُبّ ما قبله

(٢) ليس قولا لبعض أصحاب التراجم بل لجمهورهم

(٣) الرشيق معناه الحسَن القوام وهذه الصفة تصلح للغلمان لا الاحرار . فان الموالى كانوا يسمّونهم أفلح ورباحا ومَيْسَرة ورشيقاً الى غير ذلك نظراً الى فوائدهم هكذا قال علماء اللغة والاشتقاق — وإنى مع كل هذا أزيدك ثلاثة اسماء نقل ياقوت[1] فى ترجمة احمد بن رشيق الاندلسى عن الحميدى أن أباه كان من موالى بني شُهَيْد — ورشيق آخر[2] غلام بمجور وآخر[3] خادم الوزير عبيد الله بن يحيى بن خاقان

وهذا اختراع له آخر قال فى البساط[4]:

ومما نتيقنه أن الحسن وُلد بالمحمدية نواحي سنة ٣٨٥ ولا صحة لمن قال سنة ٣٩٠ وحسبنا شاهد (كذا) ما ذكره ابن رشيق فى أحد تآليفه عند ترجمته لبعض الشعراء الأندلسيين حيث قال : اجتمعت به بالمحمدية سنة ٤٠١ هـ . ولا يعقل أن يكون سنّ ابن رشيق إذ ذاك عشرة أعوام وهو يجالس الادباء المشاهير

أقول وهذه فِرْية بلا مِرْية كما ترى — وبحسبك قول ابن رشيق فى

(١) معجم ١ : ١٢٧ (٢) ذيل تاريخ دمشق لابن القلانيسي ٣٠ (٣) ابن خلكان بردي ليدن السنة ١٨٥٥ م — ٢ : ٣٨ (٤) ٥٦

نفسه أن مولده سنة ٣٩٠ هـ . ولا أدري لماذا خص السنة ٣٨٥ هـ للولادة مع أن أحداً لم يقل به فيما أعلم . على أنه لم يسم كتاب ابن رشيق وهذا لا يجوز فى مقام الاحتجاج وان كان لنا أن نقول انه يمكن لابن إحدى عشرة سنة أن يجتمع بالادباء وابن رشيق كان آية فى الذكاء وغاية فى قوة القريحة فى صباه كما يدلك عليه قوله فى الحُصْرِيّ فى الميم من النُتَف

وكان ابوه صائغاً كما فى الكتب السابقة بلا خلاف لاجوهرياً كما قال محمد بن شنب الجزائري صاحب المقالة عليه فى دائرة المعارف الاسلامية بالانكليزية . وعلمه أبوه صناعته مع شيء من العلم إلا أن قريحته الوقادة لم تجد ببليدة المسيلة مجالا فارتحل الى القيروان لتكميل العلوم سنة ٤٠٦ هـ

﴿ شيوخه ﴾

أبو عبد الله محمد بن جعفر القَزّاز القيروانى إمام اللغة بلامنازع صاحب الجامع فى اللغة الذى يقارب تهذيب الأزهرى كما قال ياقوت ترجمه صاحبنا [1] فى أنموذجه فقال « فضح المتقدمين وقطع ألسنة المتأخرين وكان مَهيبا عند الملوك والأمراء وخاصةِ الناس محبوباً عند العامة قليلَ الخوض الا فى علم دين أو دنيا يملك لسانه ملكا شديداً » وزين عُمدته أيضاً [2] بنقل اقواله وما جرى له فى مجلسه متأدّبا ولم أجده مزيّفا لقول له أو ناقداً عليه ـ ويظهر أن كتب [3] أئمة اللغة والأدب كأبى زيد وأبى حاتم والمبرّد وابن دُريد وصلته بهذا السند « أنشدنا أبو عبد الله محمد بن جعفر النحوىّ (القَزّاز) عن أبى على الحسين بن ابراهيم الآمدىّ عن ابن دُرَيد عن أبى حاتم السجستانى عن أبى زيد الانصارىّ » وبهذا « أخبرنا القزاز عن الآمدىّ المذكور عن علىّ بن سليمان الأخفش عن محمد بن يزيد المبرّد »

(١) ياقوت ٦ : ٤٦٩ والوفيات ١ : ٥١٥ (٢) ١ : ٦٨ ، ٨٥ ، ١٠٢ ، ١٢١ ـ ٢ : ٦٣ ، ١٥٠ ، ١٩١ وغيرها (٣) ١ : ١٢١ ـ ٢ : ١٩١ ، ١٥٠

وكان يطرح على تلامذته عويصات المسائل يَسْبُرُ غَوْرَهم فمن ذلك ما نقله صاحبنا فى عمدته[1] قال وحاجّى شيخنا أبو عبد الله بعض تلاميذه فقال له :

احاجيكَ عبّاد كزينب فى الورى ولم تُؤتَ إلا من حميم وصاحب

فأجابه التلميذ بأن قال :

سأكتم حتى ما تُحِسّ مدامعى بما انهلّ منها من دموع سواكب

فكان معكوس قول أبى عبد الله عباد كزينب [فى الورى] « سِرُّكَ ذائع » فقال الآخر سأكتم فأجابه على الظاهر إجابة حسنة ومعكوس سأكتم « منك أتيت » فكأنه قابل به قول الشيخ ولم تؤت الا من حميم وصاحب وهذا كله مليح اه فهذا يدلّ على فضل القَزّاز وأنسه بطَلَبته وعلى اصابة التلميذ وما خُصّ به ذلك العهد من نَفاق سِلعة الادب ورواج سوقه . وتوفى سنة ٤١٢ هـ وترجم له ياقوت وابن خلكان

أبو إسحق إبراهيم الحُصْرى صاحب زهر الآداب ذكره فى أنموذجه وقال انه توفى سنة ٤١٣ هـ وقال ابن بسلم سنة ٤٥٣ قال ابن خلكان[2] وذكر القاضى الرشيد بن الزبير فى كتاب الجنان أنه ألف زهر الآداب فى سنة ٤٥٠ وهذا يدل على صحة ما قاله ابن بَسام . أقول وهذا غريبٌ إذ يبعد أن يميت صاحبنا شيخه أو بلديه قبل موته الطبعى بـ ٤١ سنةً ـ وليس لدينا امارة على أنه شيخ لصاحبنا الا قول صاحب البساط وهو مجتهد لا يصيب الا قليلا . قال ابن رشيق[3] وقد كان أخذ فى عمل طبقات الشعراء الخ راجع الحكاية فى الميم من النتف . وهذا يدل على انه لم يكن شيخا له اذ لا يمكن أن يسيء به الادب وهو استاذ له

أبو محمد عبد الكريم بن ابراهيم النهشلى وقد أكثر[4] من النقل عن كتاب

(١) ١ : ٢١١ ـ ومعجم الادباء ٦ : ٤٦٩ (٢) ١ : ١٤ ـ (٣) معجم الادباء ١ : ٣٥٩
(٤) العمدة ١ : ٤٥ ، ٥٢ ، ٨٥ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٩٤ ، ١٣٨ ، ١٦٥ ، ١٦٩ ، ١٨٨ ـ ٢ : ٩٤ ، ١٩٣ ، ٢٢٨

له فى الشعر قال فى باب عمل الشعر [١] « وحدثني بعض أصحابنا من أهل المهدية وقد مررنا بموضع بها يعرف بالكدية هو أشرفها أرضاً وهواء قال جئت هذا الموضع مرة فاذا عبد الكريم على سطح بُرْج هنالك قد كشف الدنيا فقلت أبا محمد . قال نعم . قلت ماتصنع ههنا قال ألقح خاطرى وأجلو ناظرى. قلت فهل نُتج لك شيءٌ . قال ماتقرّ به عينى وعينك إن شاء الله تعالى . وأنشدنى شعرا يدخل مَسامّ القلوب رقةً . قلت هذا اختيار منك اخترعتَه قال بل برأى الأصمعى اه» ويوجد كثير من شعره فى العمدة [٢] وزهر الآداب [٣] ونثار الأزهار [٤] وغيرها . وقال فى موضع آخر من العمدة [٥] وذكر من لم يَهِجُ من الشعراء « وقد كان فى زماننا من انتحل هذا المذهب وهو أبو محمد عبد الكريم بن إبراهيم لم يهجُ أحدا قطّ ومن أناشيده فى كتابه المشهور لغيره من الشعراء :

ولست بهاج فى القِرَى أهلَ منزل على زادهم أبكى وابكى البواكيا

الى آخر الثلثة الأبيات» اه أقول وهذا الشاعر هو منظور بن سُحيم الحماسى ويبجّل اسمه ويخضع له وربما انتقد عليه [٦] شيئاً وهو مصيب فى انتقاده ولكن مع مراعاة جانب الأدب . وذكره [٧] فى الأنموذج أيضا قال « ان كُتاب الخراج بالقيروان اجتمعوا فى الديوان يوما فوقعت بينهم جرادة فوضعها بعضهم فى يده وقال : من يصفها ؟ فقال عبد الكريم بن ابراهيم النهشلى قد علمتم أنى امرؤ مُرّة ولست بصاحب بديهة . فبدرهم يعلى بن إبراهيم [٨] الأرسي» اه . وذكر له فى العمدة [٩] قولا غريبا وهو أن ابا الطيب إنما سُمّى متنبّئاً لفطنته . واقتدينا صاحب البساط فى عدّة من مشايخه وإن لم نره لغيره . هذا ويجيء ذكر خطإٍ له فى آخر المقالة

(١) ١ : ١٣٨ (٢) ٢ : ٢٢٨ وغيرها (٣) المطبوع في الصلب ١ : ١١٦ ، ١٣١
(٤) ٨١ (٥) ١ : ٧١ (٦) العمدة ١ : ١٦٩ ، ١٨٨ — ٢ : ١٩٢
(٧) البدائع ٢ : ٣٩ (٨) راجع له معجم الادباء فى ترجمة القزاز (٩) ١ : ٤٥

ابو عبد الله عبد العزيز بن أبي سهل الخشني الضرير المتوفى سنة ٤٠٦ هـ ذكره في موضعين من عمدته مرة كناه أبا عبد الله[١] واخرى أبا محمد[٢] وهذه ترجمته في الأنموذج[٣] « كان مشهوراً بالنحو واللغة جداً مفتقراً اليه فيهما بصيرا بغيرهما من العلوم ولم يُرَ قطُّ ضرير أطيب منه نفسا ولا أكثر منه حياء مع دين وعفة وكان شاعراً مطبوعاً سلك طريق أبي العتاهية في سهولة الطبع ولطائف (كذا) التركيب ولا غناء لأحد من الشعراء الحذّاق عن العَرْض عليه والجلوس بين يديه مات سنة ستّ واربعمائة وقد زاد على السبعين »

الشيخ ابو عبد الله[٤] محمد بن ابراهيم بن السمين ذكره في العمدة في غير ما موضع وكان يعرض عليه مشكلات المسائل فيحلها له

القاضي ابو الفضل[٥] جعفر بن أحمد (أو محمد) النحوي ذكره في موضعين من عمدته على ما أدى اليه نظري . ويمكن أن يكون له من المشايخ غيرهم أيضا يذكرهم في العمدة[٦] تارة بلفظ الشيوخ واخرى بلفظ بعض الشيوخ

﴿ تلامذته ﴾

من الأسف أنا لم نعثر في هذا الفصل الاّ على قطرة من عِدٍّ وها كها :

ابو محمد عبد الله بن يحيى بن حمود الحزَيْميّ (كذا) روى عن ابن رشيق شعره فالله أعلم أيرويه عنه بواسطة أو بدونها في جزء[٧] من شعره الموجود بمكتبة اسكوريال

ابو عبد الله الصفار[٨] (أو ابن الصفّار[٩]) الصقليّ كان هاجر من صقليّة الى القيروان للاجتماع به ولسماع شعره حين تغلّب عليها الروميّون كما سيمرّ بك حكايته

---

(١) ١ : ١٢٤ (٢) ٧٢ (٣) البغية ٣٠٨ والبساط ٥٧ (٤) ١ : ١٤٤ـ٢ : ٢٣ ولما أن الفراز أيضا أبو عبد الله يمكن أن يكون وقع ثم تداخل في حوالات الرجلين

(٥) ١ : ٥٧ و ١٠٣ (٦) ١ : ١٤١ وغيرها (٧) أمارى ٦٨٠

(٨) البدائع ٢ : ٣٦ (٩) مسالك الأبصار أمارى ٦٥١

﴿ شبابه وصيته فى الأقطار ﴾

أول حلقة من هذه السلسلة عثرنا عليها ما قال فى أنموذجه [1] فى ترجمة نفسه :

« وقدم الى الحضرة سنة ٤٠٦ هـ وامتدح سيدنا خلّد الله دولته (المعز) سنة عشر بقصيدة أولها :

ذَمَت لعينك أعيُنَ الغزلان قمرٌ [2] اقرّ لحسنه القمران

(انظرها فى النتف) قال ومن مدح القصيدة التى دخل بها فى جملته ونسب الى خدمته فلزم الديوان وأخذ الصلة والحلل :

لدنُ الرماح لما يَسُقّ أسنتَها من مُهجة القَيْل أو من نُغرة البطل

(انظرها فى النتف) »

وقد مرّ أنه لما وصل وفود صاحب مصر بهدايا وخلعة وتلقّاهم المعز أنشد ابنُ رشيق همزيّته . فلما انثالت عليه الهدايا وأقبلت الخاصّة جاوز صيته وطار ذكره الى ماوراء البحر من صقلية والأندلس وجاز حتى تغلغل أسماعَ ملوك الطوائف بالأندلس كما سيأتى . ونقل صاحب البساط عن ابن خلدون فى مقدمته :

« ما كان بإفريقية من مشاهير الشعراء الاّ ابن رشيق وابن شَرَف »

وفى الذخيرة [3] لابن بسّام حكايةً عن أبي عبد الله بن الصفّار الصقلىّ قال كنت ساكنا بصقلية وأشعار ابن رشيق تردعلىّ فكنت أتمنّى لقاءه حتى قدم الروم علينا فخرجتُ فرًا بمهجتى تاركا لكل ما ملكت يدى وقلتُ أجتمع بأبى علىّ فبرقةِ شمائله وطيبِ مشاهدته سيذهب عنى بعض ما أجد من الحزن على مفارقة الأهل والوطن . فجئت القيروان ولم أقدّم شيئاً على الدخول الى منزله .

---

(١) راجع ترجمته فى معجم الأدباء ٣ : ٧٠ (٢) أقول كذا فى ياقوت والحلل السندسية وأنت ذمت لأن المراد بالقمر امرأة وذكر ضمير لحسنه حملا على اللفظ ثم أنث ضميره فى البيت التالى انظره فى النتف (٣) على مافى البدائع ٢ : ٣٦ ومسالك الأبصار أمارى ٦٠١

فاستأذنت ودخلت فقام إليّ وهو ثانى اثنين فأخذ بيدى وجعل يسألنى فأخبرته بأمرى فارتضى . اهـ

وكان أهل الأندلس يقدرونه حق قدره كما قيل :

إنما يعرف ذا الفضـــــل من الناس ذَوُوه

كما سيأتى من أن عمدته لما وصلهم اختصره نحويّهم الشهير ابو بكر بن السراج (ككتاب) وعدّد فيه جملةً من أوهامه . ونرى ابن الأبّار الكاتب البَلَنْسىّ يأخذ من قُراضة الذهب له . وناهيك بتقاص شعره المجموع من الأقطار إلى مكتبة إسكوريال دليلاً على نَفاق سِلعته لديهم . وتراهم نسجوا على منواله واقتفوا مثاله استحساناً له كما فعلوا بملْق السبيل للمعرّىّ فكلّ ماحاذَوْا به هذا الكتاب وكذا أصلُه لايوجد فى غير الاسكوريال . وهذه النسخة التى طبعوه عليها أخذوا صُوَرها من أصل اسكوريال . وهذا حال شعره وقَدْرِ الناس له حقّ قدره . قال ابن خفاجة [1] فى ديوانه « خرجت يوما بشاطبةَ الى باب السّمارين ابتغاء الفُرجة على خرير ذلك الماء بتلك الساقية وذلك سنة ٤٨٠ هـ واذا بالفقيه أبى عمران ابن أبى تليد رحمه الله قد سبقنى الى ذلك . فألفيته جالسا على دكّان كانت هناك مبنيةٍ لهذا الشأن فسلّمت عليه وجلست اليه مستأنسا به فجرى أثناء ماتناشدناه قول ابن رشيق :

يامَنْ يَعُزّ ولا تمرّ به القلوب من الغَرَقْ

الى آخر الخمسة الأبيات المذكورة فى النُّتَف . فقلت وقد أعجبت بها جدًّا وأثنى عليها كثيرا أحسنُ مافى القطعة سياقة الأعداد وإلا فانت تراه قد استرسل فلم يقابل بين الفاظ البيت الأخير والبيت الذى قبله فيُنْزِلَ بإزاء كل واحدة منها مايلائمها . وهل ينزل بازاء قوله واذا نطق قوله شغل الحدق . وكأنه نازعنى القولُ

(١) نفح الطيب مصر ٢ : ٢٠٤ ليدن ٢ : ٢١٦ و ٢١٧ والبدائع ٢ : ٤٦

فى هذا غاية الجهد فقلت بديها :

ومهفهفٍ طاوى الحشا خَيِثِ المعاطف والنظر
ملأ العيون بصورة تُليتْ محاسنُها سُوَر
فاذا رنا واذا مشى واذا شدا واذا سَفَر
فضح الغزالة والقَطا مةَ والحمامة والقمر

فُجنَّ بها استحسانا . وقال ابن ظافر القطعة القافيةَ ليست لابن رشيق بل هى لأبى الحسين على بن بشر الكاتب أحد شعراء اليتيمة اه ومثله مارواه [1] ابن حمديس قال اجتمعت مع أبى الفضل الكاتب جعفر بن المقترح بسبتةَ فذكر لى بيتى ابن رشيق :

البحر صعب المرام مرٌّ لاُجعلت حاجتى إليه

(راجعها فى النتف) ثم قال لى أتقدر على اختصار هذا المعنى قلت نعم أقدر على ذلك وأنشدته (وذكر بيتين) فاستحسن ذلك إذ كان على الحال وأقام عنى أياما ثم اجتمعت به فأنشدنى لنفسه فى المعنى (وذكر بيتين) فأنشدته لى فيه (وذكر بيتين وكل الأبيات فى النتف)

وأما طيران صيته ونباهة ذكره بالقيروان فحسبك فيه ماجرى بينه وبين الحُصْرى وقوله فيه بيتين راجعها فى الميم قال « فبلغه البيتان فأمسك عنه واعتذر منه ومات وقد سُدَّ عليه باب الفكرة فيه ولم يصنع شيئاً » اه ومثله مانقله الدباغ [2] فى ترجمة القاضى محمد بن جعفر الكوفىّ قال وجرت عليه محنةٌ أعقبها التأخرُ عن قضائهم والزهد فى جوارهم وذلك بسبب أبيات صنعها ابن رشيق :

ياسالكا بين الأسنة والضُبا [3] إنى أشَمُّ عليك رائحةَ الدم

(انظر البيتين فى النتف) منها هذان البيتان صنعها معرِّضا به فنمت الى

(١) على هامش المعاهد ٢ : ٢٠ (٢) المعالم ٣ : ٢٤٤ (٣) الغاربة يكتبون الظاء ضادًا كما هو معروف من خطهم ، أنظر أنيس القرطاس

السلطان فكانت سبب محنته (ثم ذكر مصادرته وفراره الى مصر وتولّى قاض آخر جميعَ ما كان يتولاّه هو) ثم قال وزال القضاء عن بني الكوفي وكانت لهم في ولايته نيف وسبعون سنة تولاّه أربعة منهم في هذه المدة اه. وترى[1] في الراء بيتين له عارض بهما بعض أصحابه وكان سبقه الى بيتين له في المعنى فلما أنشده ابن رشيق بيتيه قال فضحتني وهذا يدل على أن معاصريه كانوا يُقرّون له بالسبق في الرهان وإحراز الخصل عند الأقران

مناعة عسير

يكتب الفريق سليمان شفيق باشا وزير الحربية العثمانية سابقاً مذكراته في هذه الايام عن بلاد العرب، ولا سيما العسير التي كان فيها حاكماً وقائداً لجيش الدولة العثمانية بعد اعلان الدستور العثماني، ويَنشرها في جريدة الاهرام مترجمة بالعربية بقلم منشيء الزهراء. ومما جاء فيها عن مناعة تلك المقاطعة العربية في البر والبحر قوله:

في بعض الساحل الشمالي من اليمن وعلى طول ساحل عسير توجد في البحر ستارة من مادة الشبّ ممتدة من (قَمَران) الى (الليت) موازية للساحل، وعند جزائر (فَرسان الصغرى) و(فَرسان الكبرى) وما بينهما. وبين هذه الستارة البحرية والساحل مَضيقٌ طوله ستمائة كيلو متر يمكن المرور منه. وعلى ذلك فالسفائن البحرية الكبرى لا تستطيع الاقتراب من ساحل عسير الا اذا دخلت من أحد مدخلي المضيق عند الليت أو قمران. والحكومة التي تملك عسيراً اذا أقفلت هذين المضيقين بالوسائط الفنية تحافظ على سواحلها بسهولة وتجعل سفن العدو في خطر لا يمكن اجتنابه

وتوازي الساحل في البر جبال غرانيتية لا ترتقى الا بسلوك منافذ معينة للوصول الى قممها، ومن المتعذر ارتقاء العربات والاحمال الثقيلة فيها. ولا يمكن مهاجمة القسم الجبلي من عسير من جانب الساحل الا بعد الاستيلاء على تلك الذرى والمنافذ. فالقارىء يرى أن عسير ذات حصون طبيعية في البحر والبر معاً

(١) البدائع ١ : ٢٤٠

الى الامة العربية

خُلقت لكِ البيضُ الرقاقُ والسُّمر والخيل العتاق
فيم التكاسل إن يكن فيكم وئام واتفاق
عهدي بكم إنّا جَرَيْـ ـنا ثم لا يُرام بكم لحاق
لا تفترون عن الاعا دي أو يحيق بهم محاق
نهضاً ، فقد ضاقت صدو ر القوم واتسع النطاق
أين الحفاظ المرُّ أم أين التعاضد والوفاق

***

لا صبرَ أو تصطك من سمر القنا السبع الطباق
ويُمدّ من نَسْجِ الوغى للنقع فوقكمُ رواق
حتى يبيت عدوكم فوق الثرى دمه مراق

***

إنا لخُوّاضُ الردى ما قام للهيجاء ساق
لا ننثني ولو أنّ اكـ ـؤسنا ردًى منها دِهاق
أو تنجلي ولنا على أعدائنا فيها السباق

***

لا صبرَ أو نصليهمُ نيران حرب لا تطاق
ونذيقهم أسيافنا جرع الردى حتى يلاقوا
وتغور في أعناقهم جزراً كأنهمُ براق
تجري دماً إمّا بدا من برق أنصلها ائتلاق

***

اتروعنا غرباتهم ويريبنا منها نعاق

أم هل قنابلهم يرو ع قلوبنا منها نهاق
حيث الصفاح تظلنا وتقلنا الجرد العتاق
ونفوسنا أسرى بأيـ ـدينا وليس لها انطلاق
وسيوفنا باكفنا ما ان لها عنها افتراق

***

وأبيكِ لا تنفك تـ ـضمنا الحمية والوفاق
ما إن لنا بسوى دلا ص الحزم فى الحرب انتطاق
ابناء قحطان لنـا فى كل مكرمةٍ خلاق
سائل بنا كم موقفٍ للحرب فيه لنا السباق
ولقد تزوجنا المما لي والنفوس لها صداق
فخضابنا فيها دمُ الاعدا والاَّ فالطلاق

***

حاشا الحمية ان يسو م جفوننا عنها انطباق
ونبيت الا والعدوُّ تنوشه الطير العتاق
ويروق الا من دمٍ ولنا اصطباح واغتباق
قسماً بمشتبكِ القنا الخطيِّ فيه لنا اختراق
لا ننثنى عن خوضه إمّا سباقٌ أو سياق

جبل عامل «الحرمانى»

قال سعيد بن العاص: «ما شتمتُ رَجُلاً منذ كنتُ رجلاً، ولا زاحمتُ بركبتي، ولا كلَّفتُ ذا مسألتي أن يبذلَ ماء وجهه فيرشحَ جبينُه رَشْحَ السقاء»

أمالى القالي (٢: ٢٢٠)

النزاع العنصري في صدر الاسلام

بين العرب وغيرهم (١)

كان لانتصار العنصرية العربية، وقوة نفوذها، وانتشار سلطانها في الحرب والسياسة، صدى في داخل المملكة العربية الجديدة وفي نفسية العرب . فنبه ذلك الامويين الى تصفية مظاهر حكمهم من كل شائبة غير عربية

كان العرب الى عهد عبد الملك يتعاملون بالسكة الاجنبية : فارسية ورومية . فلم ير من الكرامة للأمة العربية بعد فوزها العظيم أن لا يكون لها سكة خاصة تتأيد بها غلبة قوميتها ومظهر سلطانها . فعمد عبد الملك الى ضرب السكة العربية الخالصة، وأصدر أمره القطعي بحظر استعمال أية سكة اجنبية في طول البلاد وعرضها، ومعاقبة كل من يخالف ذلك من سكان البلاد . وهكذا أزال من البلاد ما قد يكون أثراً من آثار الأجنبي ونفوذه

كان الامويون في دولتهم الجديدة قد قلدوا الروم في استعمال الطراز الرسمي للملابس، وكان طرازهم الى عهد عبد الملك أيضاً رومي الصبغة واللغة، فبدله بطراز عربي في صبغته ولغته . وانشأ المعامل التي تصنع هذا الطراز العربي الخالص

كان العرب منذ أول عهدهم في الاقطار المفتوحة استعملوا لغات الحكومات السابقة في كتابة السجلات والدواوين ؛ لأنهم لم يكونوا قد مهروا في ذلك الأمر الذي يحتاج الى الوقوف على أساليب خاصة وطرق معينة، وتوهموا أن هذا لا يتقنه الا الروم والقبط والفرس وبلغاتهم . ولكن عبد الملك والوليد من بعده رأيا أن استمرار استعمال هذه اللغات في الدواوين الرسمية عائق في سبيل تعميم اللغة العربية بين طبقات الوطنيين، ومانع من ترقية اللغة العربية ومرونتها على

(١) فصل من كتاب تحت الوضع

أنواع الاستعمالات عدا كونه لا يأتلف مع الكرامة القومية في شيء . فنقلت الدواوين في عهدها من اللغات الوطنية الى اللغة العربية . وأنت تعلم أن رسمية اللغة ظاهرة من ظواهر كرامة الأمة واستقلالها كما أن السكة والطراز يدخلان في جملة ذلك . فكان في هذا العمل تثبيت تام لنفوذ العرب وتأييد قطعي لتفوق عنصريتهم وانتصارها في نزاعها

وكذلك لو تتبعت طريقة ادارة الأعمال على عهد الأمويين لرأيت أن جميع الأعمال الرئيسية كانت في يد العرب . فلم تكن ترى قائداً أو والياً أو قاضياً غير عربي معروفة أرومته . ومعنى ذلك استبقاء صفة السلطة والرياسة في العرب ، وعدم اعتبار العرب غيرهم اكفاء لهذا العمل العظيم . ويدل أيضاً على تمكن الروح القومية بصورة لاتستسيغ أن يكون ولاة الأمر والرياسة فى الدولة العربية من غير العرب فى حال

ومن هذا القبيل صرفهم الخلافة عن من لم يكن عربياً في خئولته ، أى عدم اعتبار من تكون أمه غير عربية كفؤاً للخلافة . فان مَسْلَمة بن عبدالملك الذي ظهر من قدرته وهمته وبلائه الحسن فى الفتوحات واطفاء الثورات ماجعله فى عداد أبطال العرب الكبار لم يتسنم عرش الخلافة ـ مع كونه ذا حق فيه وجدارةٍ له ـ الا لأن أمه غير عربية ؛ فلم يعهد له أبوه ولم يعهد له أحد من اخوانه ، مع أن سليمان عهد الى ابن عمه عمر ، وكان اخوه مسلمة محاصراً للقسطنطينية . وكأن مسلمة كان يرى ذلك طبيعياً الى درجة أنه لم تحدثه نفسه به أيضاً

على أن الشعور بالعزة القومية وبقوة الروح العنصرية لم يكن مقصوراً على هذه الرسميات فى هذه المرحلة ، بل كان منتشراً فى العرب على اختلاف طبقاتهم أيضاً . كانوا يرون أنفسهم أنهم اشرف أرومة وأكثر كفاءة وأبعد همة وأحق بكل عظيمة من غير العرب ، وان لهم الحق في أن يتفوقوا على غيرهم ويمتازوا

عن سواهم ، لأنهم أصل الهداية ومنبع الرشد ، ومحتد الكرم ، ومرد الخلال الشريفة ، وكانوا يسمون غيرهم بالحمراء ويلمو الى ولا يرونهم أكفاء لهم فى أية حالة من الحالات وعمل من الاعمال

رأى معاوية أن الموالى قد كثروا كثرة عظيمة فخشى أن ينازعوا العرب الامر وحدثته نفسه فى تشتيتهم وتقليل خطرهم ، وذاكر بعض ذوي الرأى من العرب ، فكان رأي سمرة بن جندب أن يقلل عددهم بالقتل والنفي والجلاء ولكن معاوية لم يعمل بهذا الرأي

أراد عبد الملك أن يصاهر أحد شريفى الاروماث ، المعروفي النسب من شيوخ القبائل فخطب بعض بنات ذلك العربى لبعض أبناء الخليفة فقال الشريف العربي لعبد الملك : جنبنى هجناء بنيك . والهجين فى لغة العرب من كانت أمه غير عربية وهي كلمة سبة وصغار

وصلت روح العزة العربية فيهم الى أن صار بعضهم لا يرى أن يأتم فى صلاته بغير عربى ، واذا ائتموا فانما يفعلون ذلك تواضعاً لله لا غير . وحتى روي عن بعضهم انه كان اذا مرت به جنازة عربى صاح واقوماه واذا مرت جنازة غير عربى قال « مال الله يأخذ ما يشاء ويترك ما يشاء » . وحتى أن عبد الله بن عامر دعا عليه أحد الموالى وقال له لا أكثر الله من أمثالك فينا فأجابه بل أكثر الله من أمثالك فينا ، فلما سئل كيف يدعو عليه وهو يدعو له قال « يمهدون طرقنا ويخصفون نعالنا ويخيطون ثيابنا » تصغيراً لشأن غير العربي ، اذ أن العربي كان يرى نفسه انه وجد للرياسة والحكم ، فليس يليق به أن يتناول المهن والاعمال الاخرى

على أن استقصاء أمثال هذه الحادثات أمر يخرج عن حدود بحثنا وهي كثيرة ممثلة بها كتب العرب من أدب وسير وتاريخ ، ولكن ما أوردناه منها للدلالة

على ما رغبنا في تقريره

ومع أن هذه الدرجة لفراط لا مسوّغ له ـ بحيث جلبت على العرب الحقد والبغضاء ، وتجاوزوا فيها المعقول والمنطق ـ فانها تدلنا دلالة واضحة على ما وصلت اليه العزة القومية والشعور بها عندهم

ولا ريب في أن ذلك ناتج عن المظهر القوي الذي ظهر به نفوذ العرب ، وامتداد أمرهم وسلطانهم من الصين والهند شرقا الى البحر الاتلانتيكي غربا : في هذه الاقطار الواسعة لغتهم منتشرة ، وحكمهم نافذ ، وكلمتهم هي العليا . قد دحروا أمامهم كل مزاحم ، وقضوا على أعظم دول العالم ، وتفردوا بالنفوذ والسلطان

كانت جيوشهم الفاتحة عديدة ومنتشرة في مشارق الارض ومغاربها ، تخفق عليها ألوية النصر ، وترعاها عين النجح والتأييد . فمنها جيوش مشرّقة للشمال تكتسح بلاد الترك من أقاليم فرغانة والشاش والصغد وتطأ أرض الصين ، وجيوش مشرّقة للجنوب تدوّخ بلاد البلخ والافغان والسند وتطرق باب الهند . ومع انها كانت تلقى كيداً شديداً في هذه البلاد لم تكن رأته في الشام وفي مصر ، فقد كانت تنتصر الانتصار تلو الانتصار ، فتنزل العروش وتفتح المدن ، وتدين لها الملوك ، وتضع يدها على مافي هذه الاقطار الواسعة من ثروة وغنائم ، وتقبل الناس على اعتناق دينها وتعلم لغتها

هذا في المشرق ، بينما كانت جيوشهم في المغرب تخوض المعارك مع البربر ، ثم تتطلع الى ما وراء البحار فتعبر الى ايبريا في أوربا ، فتهدم عرش القوط والجلالقة ، وتكتسح أكثر هذه الجزيرة ، وتؤسس نفوذها وتنشر دينها ولغتها وحضارتها . وفي الوقت ذاته ترسل جيوشاً جرارة فتخترق آسيا الصغرى من أولها لآخرها ، وتحاصر القسطنطينية حصاراً طويلاً وكأنها تحدّث نفسها أن تلتقي جيوشها المشرّقة بجيوشها المغرّبة لتطوق أوروبا وتدخلها في سلطانها ، كما

فعلت في آسيا وافريقية . وبعبارة اخرى كأنها أصبحت وارثة العالم لا معارض ولا مزاحم . لا تحارب الا وتغلب ولا تصدم الا وتفوز . لا يقف امام تيارها شيء ولا يحول دون سبيلها حائل

ولم تكن حالتها كحالة الامم البربرية التي كانت تخرج من منابتها فتكتسح البلاد ، وتدمر معالم مدنيتها ؛ بل أظهرت ـ رغم الفترة الطويلة التى قضتها في الجاهلية ـ من المرونة وقابلية الاستعمار والنجاح في أساليبه ما ترك لها ذات الاثر الذى تركته انتصاراتها الحربية أيضاً

لم يسبق أن عانت أمر البحر والملاحة ، ولكنها لم تكد ترى ضرورة ذلك في هبتها الجديدة حتى باشرته فنجحت فيه : فأنشأت الاساطيل ، وغزت الجزر والسواحل ، وغلبت سادة البحار ، وتفردت فيها بالنفوذ كما تفردت في نفوذ البر . كذلك لم تلبث أن سارت على أساليب الحياة المدنية ، ومرنت على النظام واتقان الاعمال الرسمية ؛ فدونت الدواوين ، وضربت النقود ، وانشأت دور الصناعات ، واستغنت بالعرب والعربية عن كل صبغة أجنبية . ثم التفتت الى العمران فأنشأت المدن وعمرت القصور ، وأقامت المساجد ، ومهدت الطرق . وهكذا ظهرت في حياتها الجديدة بحلية كأنها ابنة بجدة المدنية

ولعل العرب الذين خرجوا من الجزيرة فى هذه الموجة الاسلامية كانو أعظم عدد خرج فى الموجات الاولى ، فانتشروا فى شرق الارض وغربها ، وكان منهم العدد الكافى لتأليف هذه الجيوش الجرارة : من محاربة ، ومرابطة ، وصائفة ، وشاتية ، وبرية ، وبحرية . ولايجاد كتل عربية كبرى فى جميع الاقطار التى فتحتها ، فكانت سبباً فى تعريب اكثرها

ولعل هذا الدور كان أغزر أدوار العرب إنجاباً للرجال : من خلفاء ، وقواد ، وامراء ، وولاة ، وحكام ، وعلماء . وكان اكثرهم فى اعمالهم المثالَ الذى يجدر

بالتأسي ، والقدوة التي تخلق بالاتباع . فمهدوا للأمة العربية ما مهدوه من هذه العظمة الخالدة والسلطان الواسع ، فحق للعرب ولاشك ان يروا انفسهم مثل ما رأوها وان يحلوها المركز السامي الذي أحلوها فيه

وها نحن نرى الانكليز الآن يرون انفسهم في مستوى أعلى من مستوى غيرهم . وكأنهم من جبلة غير جبلة البشر . وما ذلك الا لأنهم يرون أنفسهم متفوقين عنصرياً على كثير من غيرهم بالقوة والثروة وسعة السلطان . وأنت عليم أنه يوجد في هذا العالم أمم راقية ودول عظيمة ، ومنها ما يزاحم نفوذ الانكليز ويضاهيهم في قوتهم وثروتهم ، فلا غرو اذا رأينا الشعور بالعزة القومية قد بلغ في العرب هذا المبلغ البعيد ، ولم يكن حينئذ في الدنيا غيرهم عظيماً في سلطانه ، عظيماً في مظهره ، مزاحماً لهم في نفوذ او قوة او سلطان

نابلس محمد عزة دروزه

﴿ رسالة ايمان العرب ـ للنجيرمي ﴾

لما كتبت ترجمة أبي اسحاق النجيرمي في العدد الماضي من الزهراء لم أكن رأيت أحداً ذكر رسالته في (أيمان العرب) غير الزبيدي في تاج العروس (مادة نجيرم) . وقد علمت الآن من حضرة صاحب السعادة العلامة المحقق أحمد تيمور باشا أن البغدادي ذكر هذه الرسالة في موضعين من خزانة الادب (١ : ٢٣٤ ـ ٢٣٥ * و ٣ : ٢١٠)

﴿ أموات الاحياء ﴾

مقابر من ماتوا مواطن راحة فلا تكُ إثر الهالكين جزوعا
وإن تبك ميتاً ضمه القبر فادّخرْ لميت على قيد الحياة دموعا

اسماعيل صبري باشا

محمد بن عمران المرزباني (*)

٢٩٦ — ٣٨٤ هـ

عن كتاب (انباه الرواة على انباه النحاة) للقفطي ، و (الوافي بالوفيات) للصفدي ، و (وفيات الاعيان) لابن خلكان ، و (الانساب) للسمعاني

نسبه ونشأته

أبو عبيد الله محمد بن عمران بن موسى [بن سعيد (١)] بن عبيد الله المرزُباني البغدادي العلامة الكاتب

هو من بيت رياسة ونفاسة ، نسب الى بعض اجداده وكان اسمه المزربان . قال ابن خلكان : وهذا الاسم لا يطلق عند العجم الا على الرجل المقدّم العظيم القدر ، وتفسيره بالعربية حافظ الحدّ ، قاله ابن الجواليقي في كتابه (المعرّب) . وكان ابوه نائب صاحب خُراسان بالباب ببغداد ، فوُلد فيها صاحب الترجمة في جمادى الآخرة سنة ستّ ـ أو سبع ـ وتسعين ومائتين ، ونشأ فاضلاً ذكياً ، ممتع المحاضرة والمذاكرة ، راوية للادب مكثراً ، وصاحب أخبار جميل التصانيف

مشايخه

قال القفطي : انه كان كثير المشايخ . وذكر منهم ابن خلكان : عبدَ الله بن محمد البغوي ، وأبا بكر بن أبي داود السجستاني وقال في موضع آخر : روى عن أبي القاسم البغدادي وأبي بكر بن دريد وابي بكر السجستاني . وذكر منهم الصفدي في الوافي بالوفيات : أبا القاسم البغوي ولعله عبد الله بن محمد ، وابنَ دريد ، ونفطويه . وزاد السمعاني : أباحامد بن هارون ، وأحمد بن سليمان الطوسي

(*) نشر هذه الترجمة بمناسبة تقريظ (جمعية نشر الكتب العربية) طبع كتاب (الموشح) في نقد الشعر . وهو الكتاب الوحيد فيما نعلم الذي أبقاه الزمان من مصنفات أبي عبيد الله المرزباني التي تبلغ وحدها خزانة كتب في الادب كما ترى في هذا الفصل

(١) الزيادة عن ابن خلكان

وأبا عبد الله ابراهيم بن عرفة النحوي ، وأبا بكر محمد بن القاسم بن بشار الانباري وقيلَ : ان أكثر أهل العلم الذين روى عنهم سمع منهم في داره

وأخذ عليه أهل الحديث أن أكثر روايته كان اجازة ، ولا يبين في تصانيفه الاجازة من السماع ، بل يقول في كل ذلك « أخبرنا . . » . قال القفطي : وقد رأى ذلك جماعة من الرواة

فضله ومكانته وتلاميذه

قال القفطي : كان حسن الترتيب لما يجمعه . وكان يقال في زمنه « انه أحسن تصنيفاً من الجاحظ »

وقال علي بن أيوب « دخلت يوماً على أبي عليّ الفارسي النحوي فقال : من أين أقبلت ؟ قلت : من عند أبي عبيد الله المرزباني . فقال : أبو عبيد الله من محاسن الدنيا

وكان عضد الدولة فناخسرو بن بويه ـ على عظمته ـ يجتاز بباب أبي عبيد الله فيقف بالباب حتى يخرج اليه أبو عبيد الله فيسلم عليه ويسائله عن حاله

وبالجملة فان المرزباني كان مقدّما في الدولة وعند أهل العلم كما قال الوزير أبو الحسن القفطي . وهو وان لم يتخصص بعلمي النحو واللغة فقد ألف في أخبار مصنفيهما والمتصدرين لافادتهما كتاباً كبيراً سماه (المقتبس) يقارب العشرين مجلداً ، وورد في أثنائه من المسائل النحوية ، والالفاظ اللغوية ما يعدّ به من أكبر أهله

وممن روى عن المرزباني : أبو عبد الله الصيمري وأبو القاسم التنوخي وأبو محمد الحسن بن علي الجوهري وعلي بن أيوب القمي ومن في طبقتهم ومن بعدهم

وكان منزله مجمعاً علمياً لجلة رجال الادب والفضل المعاصرين له . قال ابن أيوب سمعت أبا عبيد الله المرزباني يقول : كان في داري خمسون ما بين لحاف ودُوَاج [1] معدّة لاهل العلم الذين يبيتون عندي

(١) كذا في كتاب الانساب للسمعاني ، وهو ـ يوزن رمان وغراب ـ بمعنى اللحاف الذي يلبس كما في القاموس ، وضرب من الثياب كما في اللسان . والذي في القفطي وغيره « دوارج » وهو خطأ

ومنزل المرزباني في بغداد بشارع عمرو الرومي في الجانب الشرقي من المدينة

عقيدته وأحواله

قال العتيقي : كان ابو عبيد الله المرزباني معتزلياً ثقة . وقال القفطي : انه صنف كتاباً في أخبار المعتزلة كبيراً . ونقل الصفدي عن الخطيب انه قال : ليس حاله عندنا الكذب ، وأكثر ماعيب عليه المذهب . وقال ابن خلكان : كان ثقة في الحديث ، ومائلا الى التشيّع في المذهب

وكان يضع المحبرة وقنينة النبيذ [1] ، فلا يزال يشرب ويكتب . وسأله عضد الدولة مرة عن حاله فقال : كيف حال من هو بين قارورتين ؟

وقال ابو حيان التوحيدي : حضرنا مع ابي عبيدالله المرزباني عزاء وجلس الى جانبه رجل خراساني يرجع الى مال كثير ، عليه قباء مبطن ، له رائحة منكرة ، فقام المرزباني من جنبه وجلس ناحية ، وقام بقيامه من ذلك الجانب خلق كثير . فقيل له : ايها الشيخ ماحملك على ذلك ؟ فذكر قصته وشرح حاله وأنشأ يقول :

هل لي مالي واهلي معاً وجل ما يملك جيرانيه
تأخذه نافلة جملة احبك المحسن [2] في شانيه
فاذهب الى أبعد ماينتوى لاردك الله ولا ماليه

مصنفاته

المونق : في أخبار الشعراء المشهورين من الجاهليين والمخضرمين والاسلاميين الى الدولة العباسية . يستوفي الاخبار . خمسة آلاف ورقة

(١) النبيذ هو ان يؤتى بالتمر أو الزبيب ويلبذ في وعاء او سقاء ويصب عليه الماء فاذا أخذ قبل ان يسكر فهو حلال ويسمى مع ذلك نبيذا واذا اسكر حرم

(٢) كذا في نسخة الخزانة التيمورية من (الوافي بالوفيات) . ولعله « أحسبك » أو « وحسبك »

المستنير : في اخبار الشعراء المحدثين المشهورين . أولهم بشار بن بُرد وآخرهم ابن المعتز . عشرة آلاف ورقة

المفيد . وهو كاسمه مفيد . في اخبار المقلين من الشعراء وكناهم ومذاهبهم الى غير ذلك من الفنون . خمسة آلاف ورقة

المعجم . في أسماء الشعراء ونتف من اشعارهم وبعض اخبارهم على الاختصار ألف ورقة

الموشّح . في مآخذ العلماء على الشعراء في أنواع من صناعة الشعر . ثلاثمائة ورقة

كتاب الشعر . يتعلق بصناعة الشعر . أكثر من ألفي ورقة

أشعار النساء . خمسمائة ورقة

أشعار الخلفاء . مائتا ورقة

أشعار تنسب الى الجن . مائة ورقة

المُقتبَس . في أخبار النحويين واللغويين والناسبين . ثلاثة آلاف ورقة

المرشد . في أخبار المتكلمين أهل العدل والتوحيد . ألف ورقة

الرياض . في أخبار المتيّمين والعاشقين . ثلاثة آلاف ورقة

الرائق . فيه أخبار الغناء والاصوات ونسبتها وأخبار المغنين . ثلاثة آلاف ورقة

كتاب الازمنة . في ذكر الفصول الاربعة وما قالته العرب في كل فصل منها وما ذكره الحكماء منها وذكر الامطار والاستسقاء والرواد . نحو الفي ورقة

الأنوار والاثمار والفواكه . في أوصافها وما قيل فيها . خمسمائة ورقة

أخبار البرامكة . خمسمائة ورقة

النهاني . خمسمائة ورقة

كتاب التسليم والزيارة . أربعمائة ورقة

كتاب العيادة . أربعمائة ورقة

كتاب التعازي . ثلاثمائة ورقة

كتاب المراثى . خمسمائة ورقة

المملّى . فى فضائل القرآن . مائتا ورقة

المفضل . فى البيان والفصاحة . نحو ستمائة ورقة

أخبار من تمثل بالاشعار . أكثر من مائة ورقة

تلقيح العقول . مبوّب أبوابًا . ثلاثة آلاف ورقة

المشرّف فى آداب النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة رضي الله عنهم اجمعين والوصايا وحكم العرب والعجم . ألف وخمسمائة ورقة

الشباب والشيب . ثلاثمائة ورقة

المتوّج . فى العدل وحسن السيرة . مائة ورقة

كتاب المديح فى الولائم والدعوات ومجالس الشرب والشراب . خمسمائة ورقة

كتاب الفرج . مائة ورقة

كتاب الهدايا . ثلاثمائة ورقة

المزخرف . في الاخوان والاصحاب . أكثر من ثلاثمائة ورقة

أخبار أبى مُسْلم صاحب الدعوة . مائة ورقة

كتاب الدعاء . مائتا ورقة

كتاب الاوائل . مائة وخمسون ورقة

المستظرف . في الحمقى والنوادر . أكثر من ثلاثمائة ورقة

أخبار الاولاد والزوجات والأهل ومَن مدح ودَّهم . مائتا ورقة

كتاب الزهد وأخبار الزهاد . مائتا ورقة

كتاب ذمّ الدنيا . مائة ورقة

المنير . في التوبة والعمل الصالح . أكثر من ثلاثمائة ورقة

كتاب المواعظ وذكر الموت . أكثر من خمسمائة ورقة

أخبار المحتضَرين . نحو مائة ورقة

كتاب الحجاب
كتاب الخاتم
أخبار أبي حنيفة وأصحابه
شعر الشيعة
اخبار شعبة بن الحجاج
شعر حاتم وأخباره
اخبار عبد الصمد بن المعذّل
اخبار ملوك كندة
اخبار أبي تمام
أخبار محمد بن حمزة العلوى
كتاب اعيان الشعر في المديح والفخر والهجو
اخبار الاجواد

قال ابن خلكان : « وهو أول من جمع ديوان يزيد بن معاوية بن أبي سفيان الاموى واعتنى به . وهو صغير الحجم يدخل فى مقدار ثلاث كراريس . وقد جمعه من بعده جماعة وزادوا فيه أشياء كثيرة ليست له . وشعر يزيد ـ مع قلته ـ في نهاية الحسن . وكنت حفظت جميع ديوان يزيد لشدة غرامي به وذلك في سنة ثلاث وثلاثين وستمائة بمدينة دمشق وعرفت صحيحه من المنسوب اليه الذي ليس له ، وتتبعته حتى ظفرت بصاحب كل ابيات »

وفاته

وكانت وفاة أبي عبيد المرزباني ليلة الجمعة ـ وقيل في يوم الجمعة ـ الثانى من شوال سنة أربع وثمانين وثلاثمائة . وصلى عليه أبو بكر الخوارزمى الفقيه . ودفن في داره بشارع عمرو الرومى بالجانب الشرقي من بغداد

حركة النشر والتأليف

﴿ الاشارة الى من نال الوزارة ـ لابن منجب الصيرفي ﴾

مطبعة المعهد العلمي الفرنسي ٥ المكتبة السلفية ٥ ٦٤ ص بالقطع الكامل ٥ ثمنه ٧٥ قرشاً

الكتب الباقية من عهد الدولة الفاطمية أكثرها مفقود . وكان المرحوم علي بك بهجت نشر سنة ١٣٢٣ (قانون ديوان الرسائل) لابي القاسم علي بن منجب الشهير بابن الصيرفي صاحب ديوان الانشاء في القاهرة على عهد الحاكم بأمر الله بين سنتي ٤٩٥ و ٥٣٦ ﻫ

وقد عُني أخيراً الاستاذ المفضال السيد عبد الله مخلص بنشر أثر آخر لهذا المؤلف وهو (الاشارة الى من نال الوزارة) مصدّراً بفصل جليل عن المؤلف وكتابه بلغ فيه حدّ الاجادة ، وزيّن الكتاب بتعليقات وتحقيقات زادت أهل العلم ثقة بعلمه وأمانته . وقد اعتمد في نشره على النسخة الوحيدة المحفوظة فى الخزانة الخالدية ببيت المقدس . وظهر أولا في المجلد الخامس والعشرين لمجلة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة ثم طبعت منه في تلك المطبعة نسخ قليلة على حدة . فنشكر للاستاذ السيد عبد الله مخلص عنايته ونتمنى أن يكثر فى شبابنا وأفاضلنا من يخدم العلم بأمانة وتجويد

﴿ ملوك العرب ـ للريحاني ﴾

المطبعة العلمية في بيروت ٥ المكتبة السلفية بالقاهرة ٥ ٣٩٠ ص بقطع الزهراء ٥ ثمنه ٤٠ قرشا

قام الكاتب الشهير الاستاذ امين الريحاني برحلة في جزيرة العرب عام ١٣٤٠ فاجتمع بملك الحجاز السابق فى جدة ، وبالامام يحيى فى صنعاء ، وحضر من صنعاء الى الحديدة فاجتمع بالمرحوم السيد الادريسي ، وكتب عن هؤلاء الملوك الثلاثة الجزء الاول من كتابه (ملوك العرب) وختمه بالكلام على لَحْج

والنواحي التسع المحمية ، وزينه بخريطة حسنة لبلاد العرب وأخرى للحج والنواحي التسع ، وبصور الملوك والامراء وبعض البلاد ، وقال لنا الاستاذ الشيخ عبد الواسع اليماني ان الصورة التي رسمها الاستاذ الريحاني بريشته للامام يحيى لا تشابهه تماماً

وقد قرأت القسم الاول الخاص بالملك حسين فلمست فيه الانصاف والحكمة وصدق النظر ، ولم يتسع الوقت لاكمال مطالعة الجزء كله ، غير أني سمعت بعض الاصدقاء يؤاخذون الاستاذ الريحاني في ميله الى ان تمتح اليمن صدرها للمعاهدات مع الانكليز ولما يأتيها به الغرب من مظاهر الحضارة . ونحن في ذلك على رأي الحكيم سبنسر فيما نصح به لتلاميذه اليابانيين في القرن الماضي من سد أبواب وطنهم عن الاغيار الى أن يتمكنوا هم من تلقي علوم أوربا وصناعاتها بأنفسهم وتأسيسها في بلادهم حتى اذا قويت دولتهم بها فلا ضير اذا اتصلوا بالافرنج صلة الند بنده . ولعلنا نقتبس من كتاب (ملوك العرب) ما نستطرف من فوائده في العدد الآتي من الزهراء

﴿ بيان المجلس الاسلامي الاعلى في فلسطين ﴾

تشعر فلسطين في السنين الأخيرة أن مسئولية النهوض بذلك الوطن ملقاة على عواتق أهله ، ولذلك نرى فيهم اندفاعاً نحو الاصلاح لم يكن لهم به عهد من قبل . ومن مظاهر ذلك ما نراه من الاعمال التي يقوم بها المجلس الاسلامي الاعلى سواء كانت شرعية أو علمية أو خيرية . وقد جاءنا منه كتابه السنوي متضمنا تفاصيل هذه الاعمال ومزينا بعشرات الصور تمثل الاصلاح الجاري في معاهد الدين ، والمدارس التي يقوم المجلس بادارتها ، وبيان ما دخل على خزينة المجلس من الواردات وما صدر عنه من النفقات . فنرجو لفلسطين دوام التقدم في سبيل الحياة

﴿ مختصر تاريخ العرب والاسلام ﴾

المطبعة السلفية ومكتبتها ٥ ص ٢١٧ بقطع الجايز ٥ ثمن الجزء ٧٥ مليما

نال هذا الكتاب الحظوة في المدارس العربية وعند القراء ، فنفدت نسخ الطبعة الاولى من جزئه الاول في سنة واحدة ، وقد أعاد مؤلفه الفاضل السيد محمد عزة دروزه طبعه في مطبعتنا للمرة الثانية مزينا بالصور مع التوسع والتحسين في كثير من المواضع . وهو يحتوي على تاريخ العرب قبل الاسلام ، وسيرة النبي عليه السلام ، ودوري الخلفاء الراشدين والامويين . وفيه نبذة عن التاريخ وأقسامه وفوائده ومكانة الشعوب السامية فيه

وأما الجزء الثاني فيتناول تاريخ الدول العباسية والفاطمية والاندلسية

ووعد المؤلف باصدار جزء ثالث لتاريخ الدول العثمانية والايرانية والافغانية والمصرية ودول بلاد المغرب وجزيرة العرب

وهـذا الكتاب من خير الكتب المدرسية في تاريخ العرب والاسلام وهو جدير بما ناله من اقبال المعلمين والمتعلمين على الافادة به والاستفادة منه

﴿ ديوان النفحات الزينبية ﴾

المطبعة السلفية ومكتبتها ٥ ٣٣٦ من جاير ٥ ثمنه خمسة قروش

رأى فضيلة الاستاذ الشيخ مصطفى أبو سيف الحامي خطيب المسجد الزينبي بالقاهرة وأحد علماء الازهر الشريف أن خطباء المساجد في العالم الاسلامي يلجأ أكثرهم الى كتب ألفت في الخطب لا تتناول تشخيص أمراضنا الاخلاقيـة والاجتماعية في هذا العصر ، ولا تشير الى طرق معالجتها . فأنشأ قريباً من مائة وخمسين خطبة تنقل فيها من مباحث الالهيات والنبوات ، الى خطب في اسرار الشريعة ، الى وصف دقيق لغرائز النفس الفردية وما يعترضها من مهاوي الهوى ،

الى الامراض التي ابتلينا بها بصفتنا جماعة ؛ مع الارشاد الى أسلم الطرق التي هدتنا الشريعة اليها وهي الطريق التي سلكها سلفنا الصالح فبلغوا بها السعادتين.

﴿ الذهب الخالص ـ للشيخ محمد بن يوسف اطفيش ﴾

المطبعة السلفية ومكتبتها ٥ ٣٥٠ ص بقطع الزهراء وورقها ٥ ثمنه ٢٥ قرشا

كتاب فى فقه الاباضية والعقائد ، وفي الاخلاق الاسلامية ، أراد مؤلفه رحمه الله أن يجعله جامعاً لأهم الاحكام فى جميع أبواب الفقه ، فأتى فى كل مسألة على أقوال علمائهم فيها ومذاهب الأئمة الاربعة وغيرهم ورأيه هو ان كان له فيها اجتهاد ، لان الاباضية لا يقولون بانقطاعه . وقد التزم فيه منتهى الايجاز ليكون تذكرة لمن سبق لهم الاطلاع على هذه الاقوال الفقهية مبسوطة في مواضعها

وقد تولى نشره الاستاذ أبو اسحاق الشيخ ابراهيم اطفيش وعلق على مواضع منه تعليقات مفيدة ، ووضع فى أوله ترجمة حافلة للمؤلف المتوفى سنة ١٣٣٢ هـ وهو الذي انتهت اليه الرياسة في العلم والصلاح في قومه وحسبك دليلا على فضله أن تعداد مؤلفاته لايفى به مجلد ، وقد تولى ناشره بنفسه تصحيحه بعناية تامة يشكر عليها

﴿ تجريد التوحيد المفيد ـ للمقريزي ﴾

دار الطباعة المنيرية ٥ المكتبة السلفية ٥ ٤٨ ص ٥ ثمنه ٣ قروش

تكلم الشيخ تقي الدين أحمد بن علي المقريزي ـ المتوفى سنة ٨٥٤ ـ في هذه الرسالة على معنى التوحيد والفرق بين الربوبية والالهية ، وتقسيم الشرك الى شرك في الالهية تقربا الى الله بغيره وزلفى ، وشرك في الربوبية باتخاذ إلهين للخير والشر ، أو القول بأن مصدر المخلوقات عن العقول والنفوس . ثم بحث في الكمال المطلق للالهية وتقسيم العبادة ومعنى الاستعانة . والرسالة من جيد ما الف فى بابها ومطبوعة على ورق صقيل

﴿ رواية جمعية اخوان العهد ﴾

مطبعة يوسف كوى * المكتبة السلفية * ١٥٠ ص بقطع الزهراء * ثمنها ١٢ قرشا

نقولا أفندي حداد هو الروائي العربي الذي تغني شهرته عن التعريف به ولا غرو فان في ايدي الناس من رواياته ومؤلفاته مكتبة زاخرة . وآخرها رواية (جمعية اخوان العهد) وهي الحلقة الثانية من سلسلة روايات أسرار النهضة العربية أو الاتحاد العربي العام . وقد أبدع ما شاء له الابداع في تكوين الفكرة التي بنى الرواية عليها ، وفي اختيار رجالها ونسائها ومواضع حوادثها . ومدارها على جمعية سرية مؤلفة من زعماء العرب كانت تنعقد في سرداب داخل جبل من جبال عجلون وراء نهر الاردن، فاكتشف جواسيس جمال باشا أمرها وقبض جنوده على رجالها فحاكمهم بتهمة الاستعداد للثورة والعمل على تكوين دولة عربية ، وكان يفاوضهم وهم في السجن ليرضوا باستعمال نفوذهم فى الأمة العربية ليكون هو على رأس الدولة التي يريدون احياءها ويعمل معهم على تحقيقها . أما الحلقة الأولى من هذه السلسلة فهى رواية (فرعونة العرب عند الترك) وكلاهما من ابدع ما وضعه الاستاذ نقولا أفندي حداد من الروايات اللذيذة

﴿ شهيرات النساء في العالم الاسلامي ﴾

مطبعة السعادة * المكتبة السلفية * جزآن : ٤٢٠ ص * ثمنه ٢٠ قرشاً

من مؤلفات صاحبة السمو الأميرة قدرية بنت المغفور له عظمة السلطان حسين كامل سلطان مصر هذا الكتاب الكبير الذي وضعته بالتركية فى جزءين بعنوان (مخدرات اسلام) ونقله الى العربية الشاب الفاضل عبد العزيز أفندي الخانجى . وفى الاول منهما سيرة أم المؤمنين السيدة خديجة فى ٣٤ ص ، وسيرة أم المؤمنين السيدة عائشة فى ٥٠ ص ، وسيرة الأميرة العباسة بنت المهدي فى ٥٥ ص ، وسيرة الملكة الايوبية شجرة الدر فى ٥٠ ص . وفى الجزء الثانى

سيرة سيدة النساء فاطمة الزهراء فى ٣٠ ص ، وسيرة السيدة رابعة العدوية فى ١٥ ص ، وسيرة الخنساء الشاعرة فى ٣٥ ص ، وسيرة الاميرة زبيدة العباسية فى ٤٤ ص ، وسيرة الاميرة صبيحة زوجة المستنصر بالله الاموي في الاندلس فى نحو ٨٠ ص ، وكان المعرب أفردها فى رسالة بعنوان (ملكة قرطبة) ثم اعادها هنا الى مكانها من الكتاب

ولم تتقيد الاميرة المؤلفة فى كتابها هذا بألفاظ التاريخ فى كتابة سيرة شهيرات النساء ، بل اعتمدت على القرائن والاستنتاج ، فجاء كتابها وسطاً بين أسلوب التاريخ وأسلوب الروايات التاريخية . فكثرت فيه المحاورات . ولذلك سُميت سيرة الأميرة صبيحة (روايةً) عند ما طبعت على حدتها منذ سنتين

وقد علمنا ان الأميرة المؤلفة مستمرة على تأليف أجزاء أخرى من هذا الكتاب ، وعسى أن يكون فى عملها الجليل قدوة صالحة للطبقة العليا من نساء المسلمين

﴿ كلمات المنفلوطي ﴾

مطبعة الترقي بدمشق * المكتبة السلفية بالقاهرة * ١٨٠ ص * ثمنه ١٠ قروش

كان الأديب الفاضل السيد أحمد عبيد مؤلف كتاب (مشاهير شعراء العصر) وصاحب المكتبة العربية بدمشق قد اختار من كتب فقيد البيان العربى السيد مصطفى المنفلوطى رحمه الله جُملاً مما فيه رأيٌ اجتماعى أو حكمة عالية أو مثل سائر ، وكتب الى الفقيد يسأله أن يجمع هو أيضاً من كتبه ما يختاره برأيه ، وأن يعهد اليه بطبع ذلك جميعاً بعنوان (كلمات المنفلوطى) فجاءه منه جواب بالموافقة على ذلك ، ولكن وفاة المنفلوطى سبقت وفاءه بالوعد ، فمضى السيد أحمد عبيد فى عمله وأخرج (كلمات المنفلوطى) للناس في هذا الشهر فى ٦٦ صفحة تتقدم مجموعةً طريفة تتضمن صفته بأقلام كثير من الكتاب ، والمختارَ مما قاله

الخطباء في حفلات تأبينه في القاهرة ودمشق وبغداد وحلب وبيروت ، وطائفةً من القصائد التي نظمت في رثائه . وفي أول الكتاب صورة السيد المنفلوطي وصورة كتابه بشأن (كلمات المنفلوطي) . ويتخلله صور عدد كبير من الخطباء والشعراء الذين نشرت كلماتهم في هذا الكتاب الذي أحسن مؤلفه تبويبه وتنسيقه وعني بتجويد طبعه وورقه

﴿ الكتاب الاخضر النجدي ـ عن مؤتمر الكويت ﴾

نشرت حكومة نجد بأمر سلطانها الامام عبد العزيز بن سعود كتاباً أخضرَ بما دار من المفاوضات في مؤتمر الكُوَيت في دوريه الاول والثاني بين وفود نجد والعراق وشرق الاردن ، وبما تبودل من المكاتبات الرسمية حول ذلك في النصف الاول من العام الماضي ١٣٤٢ هـ . وأرادت بذلك أن يعرف العالم الاسلامي عامة والعربي خاصة أن ملك الحجاز السابق قضى بمَنَّته على أعزّ الاماني في الاتفاق والاتحاد لصالح الامة العربية

والمفهوم من الكتاب الاخضر أن مسألة الحدود والعشائر بين نجد والعراق تم الاتفاق عليها بمعاهدة ٧ رمضان ١٣٤٠ ، وبملحقاتها الموقع عليها في ١٢ ربيع الاول ١٣٤١ . أما الخلاف الحاضر بينهما فناشيء عن فرار قبائل شرّ أنصار ابن الرشيد الى العراق بعد استيلاء سلطنة نجد على إمارة حائل واعتداء شمر وأمثالها على عشائر نجد قتلا ونهباً بين حين وآخر

ولحلّ هذا الخلاف عُقد (مؤتمر الكُوَيت) في دوره الاول جلساته الخمس الاولى من يوم الاثنين ٧ جمادى الاولى ١٣٤٢ الى ١٣ منه ، فلم يتفق الوفدان على ما حدث في الماضي ، واتفقا على أربع قواعد أساسية لمنع حدوث ما يدعو الى مثل ذلك في المستقبل . وعند ما أريدَ التوقيع على القواعد لتكون ملحقاً آخر لمعاهدة ٧ رمضان ١٣٤٠ امتنع الوفد العراقي من التوقيع الا اذا اضيف

الى ذلك هذه المادة « لا تكون المعاهدة نافذة ما لم يتم الاتفاق مع الحجاز » فاحتج مندوبو نجد على هذه الزيادة وعدوها اعترافاً من الوفد العراقي بوجود اتحاد سري بين العراق والحجاز على نجد . فتوقف البت في الامر على أن يكون للحجاز مندوب في المؤتمر ، وعلى استشارة الوفدين مراجعهما العليا في هذا وفي الامور المختلف عليها في الماضي

وفيما كان المؤتمر في انتظار ذلك رأى أن ينتقل الى معالجة ما بين نجد وشرق الاردن من خلاف فخصص لذلك جلسات أربعاً من السادسة الى منتهى التاسعة وسنذكر ما جرى فيها

واستؤنفت مفاوضات نجد والعراق من الجلسة العاشرة المنعقدة يوم الجمعة ١٠ جمادى الثانية ١٣٤٢ الى منتهى الثالثة عشرة في ١٤ منه وهي خاتمة مؤتمر الكويت في دوره الاول ، فأعلن وفد العراق تنازله عن اشتراط الاتفاق مع الحجاز أولا ، ولكن العقدة التي لم تحل هي مسألة التجاء شمّر وأمثالها الى العراق . وتقول نجد ان الفارين من شمر وغيرهم يسيئون استعمال حقوق الالتجاء باتخاذهم العراق مركزاً لحركات الغزو على رعايا حكومتهم ، وان هدايا وانعامات تمنح لهم في العراق تشجيعاً لغيرهم على الاقتداء بهم ، وان نجداً تعتبر هذه المسألة أساساً واذا حلت فكل شيء يمكن الاتفاق عليه بسهولة . والعراق تقول انها لا تستطيع منع قبائل نجد عن الالتجاء الى أراضيها لصعوبة ذلك من الوجهة الادارية ، ولان الملك فيصلاً من بيت عربي شريف فلا يتمكن من رفض من يطلبون جواره ، واذا أعادت العراق هذه القبائل الى نجد تتسبب عن ذلك مشاكل اخرى من هذا القبيل على الحدود التركية والفارسية والسورية . ويرى سلطان نجد أنه لا يليق بحكومة متمدنة كحكومة العراق أن تكون ملاذاً لمرتكبي الجنايات من قتل وسلب ، وأنه يكفي ان تعلن أنها لا تقبل التجاء الجناة الى أراضيها فتضع بذلك حداً لما يخشى أن يخل بصلات الود بين الحكومتين .

واذا قامت صعوبات أمامها فهو مستعد للاشتراك معها فى تأديب الذين يعيثون فى الارض فساداً كما تنص على ذلك معاهدة المحمرة . وعند هذا الحد وقفت هذه المشكلة التي لم تحلّ بعد وقد حدث عقب ذلك مناوشات بين قبائل البلادين.

أما فيما بين نجد وشرق الاردن فان سلطنة آل سعود بعد استيلائها على امارة ابن رشيد ترى انها ذات الحق فى كل ما كان لتلك الامارة ، ومنه الجوف وسكاكة وقريات الملح الى وادي الراجل . ولكن حكومة شرق الاردن وهى تحت الانتداب البريطانى تسعى جهد الطاقة لتسلخ من جزيرة العرب المستقلة بقاءاً لاعلاقة لفلسطين وانتداب فلسطين وصهيوني فلسطين بها فتضمها اليها لتشترك هى أيضاً فى تلك المحنة . وقد انتهزت خلوّ قريات الملح من حامية فأرسلت اليها قوة احتلتها ، ولما أرادت نجد استخلاص تلك الجهة استغاثت شرق الاردن بالانكليز فتوسطوا مقترحين حل الاختلاف بالوسائل السلمية وتقرير الحدود بين الفريقين . فلما اجتمع مندوبو البلادين في مؤتمر الكويت المفاوضة في هذا الأمر طلب مندوبو شرق الاردن فى الجلسة الاولى يوم ١٤ جمادى الاولى سنة ١٣٤٢ (وهي الجلسة السادسة لمؤتمر الكويت فى دوره الاول) أن تكون بلاد نجد مقصورة على ماورد في معاهدة نجد مع الحكومة البريطانية فى ١٨ يوليو سنة ١٩١٦ [1] وأن تتخلى على الجوف وسكاكة وما يتبعها لابن شعلان لانها ضرورية لمستقبل المواصلات بين شرق الاردن والعراق ولذا فلا بد أن تكون تحت اشراف حكومة شرق الاردن . وكان جواب نجد على ذلك فى الجلستين السابعة والثامنة أن ابن شعلان من رعايا سلطان نجد ، ووادي السرحان والجوف كانا تابعين لنجد في أيام دولة السعود الاولى ، ولولا وعد الحكومة البريطانية بحل المسألة سلمياً لما توقفت نجد عن استرداد قريات الملح التي هي جزء حيوى للجوف

(١) كان ذلك قبل ضم عسير وامارة الرشيد الى سلطنة نجد ، اي ان بلاد آل سعود كانت مقصورة على نجد والاحساء والقطيف وجبيل والبدان والمواني التابعة لها

وان نجداً لا توافق على اتصال شرق الاردن بالعراق ، بل لا بد من بقاء نجد متصلة حدودها بسوريا لتكون تجارتها فى مأمن . وفى الجلسة التاسعة تكلم مندوب شرق الاردن كلاماً انقطعت به المذاكرة فى الدور الأول لمؤتمر الكويت

وتوسط الانكليز لما كان الملك حسين فى عمان لاقناعه بارسال من ينوب عنه فى مؤتمر الكويت فى دوره الثاني فوعد بارسال الامير زيد ، والظاهر أنه اشترط أن ينوب عن السلطان ابن سعود أحد أولاده ، فاعتذر السلطان بأن اهل نجد والعلماء لم يقبلوا أن يتحمل أحد ابنائه هذه المسئولية الخطيرة ، واذا كان الغرض من حضوره تبادل مراسيم المودة فانه يقبل ذلك بكل سرور

وفى يوم الثلاثاء ١٨ شعبان سنة ١٣٤٢ افتتح (مؤتمر الكويت) جلسته الاولى لدوره الثانى فطلب مندوبو شرق الاردن أن تبدأ الحدود من مدائن صالح على أن تمر من شرقي تيما وتضم اليها عشائر ولد سليمان حتى تصل الموجاء ومن هناك تنعطف شرقاً الى الشمال الى جبل داف ثم تلتقى بخط الطول الاربعين ، وبعد أن تترك الجوف وسكاكة لشرق الاردن تنتهي فى جبل عنزة . فقال الوفد النجدي فى الجلسة الثانية ان حكومة نجد قائمة على ارادة الشعب وفي الوقت الذي تحس فيه بعدم رغبة الاهالي فى البقاء تحت حكمها تنسحب تاركة للاهالى حرية ادارة أنفسهم بأنفسهم وعلى ذلك فهي تقبل مبدأ استفتاء أهالى وادي السرحان . فرفض وفد شرق الاردن الاقتراح بحجة أن وادي السرحان من الشام لا من نجد وأنه ليس فيه سكان ثابتون ليستفتوا فى مصيرهم وان استفتاء أهالي الجوف وسكاكة فقط لا يشمل وادي السرحان . والوفد يقترح أن يكون الجوف وسكاكة ووادي السرحان منطقة حياد ، وان يبقى سائر الحدود كما تطلب شرق الاردن ، ويشترط أن تعاد امارة الرشيد فى نجد وامارة آل عايض في عسير ، وأن تتخلى نجد عن الاراضي الحجازية التي استولت عليها

فاحتج الوفد النجدي على تعرض وفد شرق الاردن لشئون بلاد لاعلاقة له بها . وانفض المؤتمر عقب ذلك فى الحال

مؤلف ايثار الحق على الخلق

لما نشرت شركة طبع الكتب العربية سنة ١٣١٨ كتاب (ايثار الحق على الخلق) وقعت فى خطأين : أحدهما قولها ان نسخة الاصل الذي طبعت عليه محفوظة فى مسجد بني أمية بدمشق ، مع أنه لم تكن فيه مكتبة يومئذ ولا الآن والحقيقة أنه طبع عن نسخة العالم الجليل الشيخ سليم البخاري الدمشقي . والخطأ الثانى انها لم تذكر المؤلف بلقبه الذي اشتهر به ، فقالت انه « أبو عبد الله محمد بن المرتضى اليمانى من مجتهدي القرن الثامن » والحقيقة التى نبهنا اليها الاستاذ الشيخ عبد الواسع اليمانى هى أن المؤلف اشتهر بابن الوزير . وقد أطلعنى سعادة العلامة المحقق أحمد تيمور باشا فى خزانته على ترجمة هذا المؤلف بقلم حميد له محفوظة فى المجموعة رقم ١١٠ من الخزانة التيمورية ، وفيها ان المؤلف هو عز الدين ابو عبد الله محمد بن ابراهيم بن علي بن المرتضى بن المفضل الحسني القاسمى المعروف بابن الوزير . ولد فى رجب سنة ٧٧٥ بهجرة الظهرلوي من شظب — وهو جبل عال باليمن — وتوفى فى ٢٧ المحرم سنة ٨٤٠ . وهو مؤلف العواصم والقواصم فى أربع مجلدات ، والبرهان الناطع فى معرفة الصانع وجميع ماحاءت به الشرائع ، وتنقيح الانظار فى علوم الآثار ، والتأديب الملكوتي ، والآمر بالعزلة فى آخر الزمان ، وقبول البشرى فى تيسير اليسرى ، ونصر الأعيان على شر العميان (فى التنفير من شعر أبى العلاء) وشرح الابيات الصوفية التي نظمها الامام الهادي ، والقواعد المهمة فيمن نسب اليه مخالفة الائمة . وله رسائل وردود على المعتزلة والاشعرية